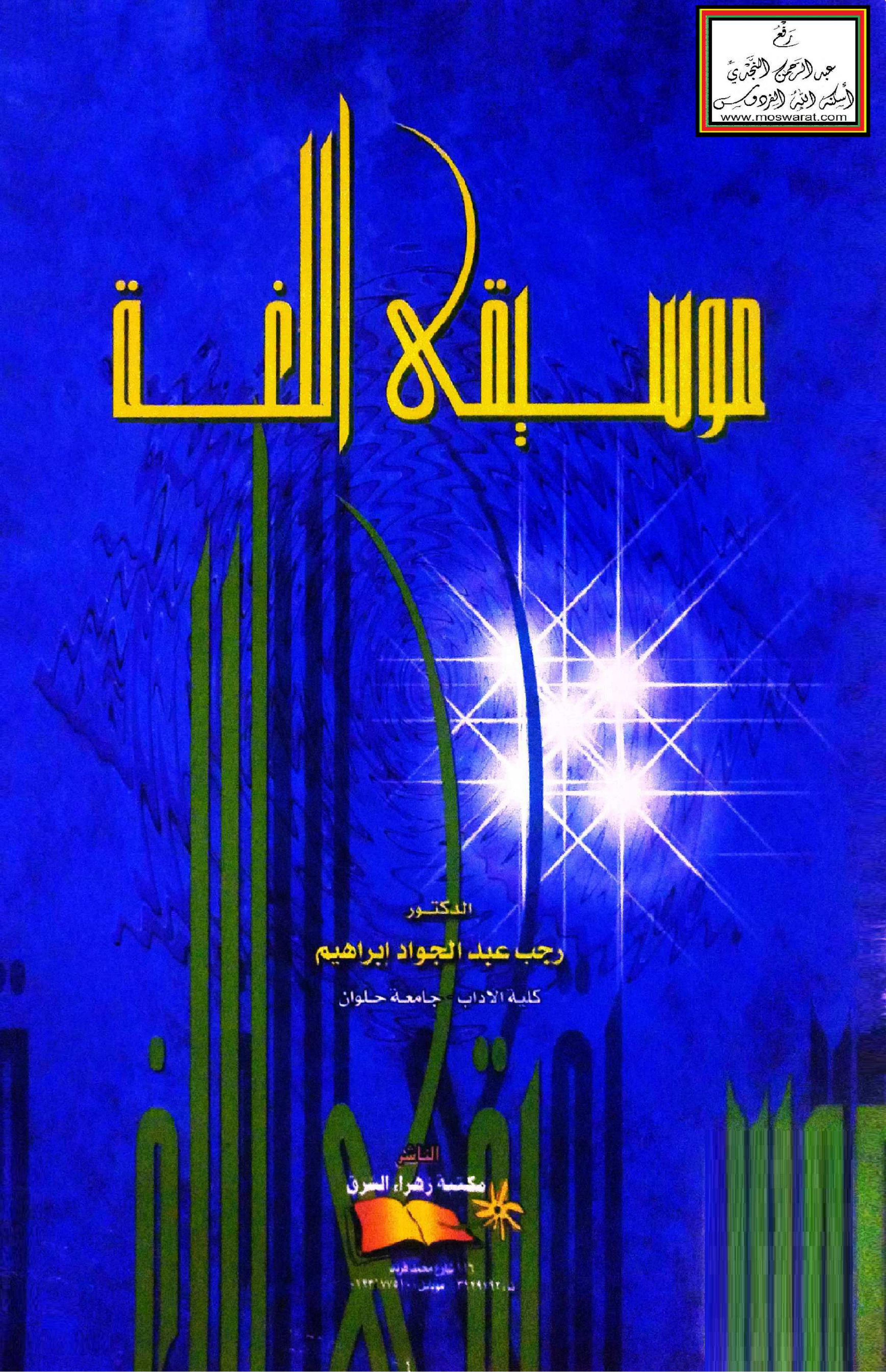

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
موسيقى اللغة
الدكتور
رجب عبد الجواد ابراهيم
كلية الاداب - جامعة حلوان
الناشر
مكتبة زهراء الشرق


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



موسيقى اللغة

الدكتور
رجب عبد الجواد إبراهيم
كلية الآداب - جامعة حلوان

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ ش محمد فريد - القاهرة
تليفون ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب	موسيقى اللغة
اسم المؤلف	الدكتور / رجب عبد الجواد إبراهيم
رقم الطبعة	الأولى
رقم الإيداع	١٣٠٢٣
الترقيم الدولى	I. S. B. N
	977 - 314 - 177 - 2
سنة النشر	٢٠٠٣
الناشر	مكتبة زهراء الشرق
عنوان الناشر	١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
بلد الناشر	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
التليفون	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٠١٢/٣١٧٧٥١٠
فاكس	٣٩٣٣٩٠٩ ـ ٣٩٢٩١٩٢

تقــديم

إن مما تتميز به لغتنا العربية حـرصها على الحس الجمالى ، عن طريق إمتاع الأذن بما تحقـقه من جمـال لفظى وتـراكيب موسـيقية ؛ فـابن فارس ينـبه إلى الفكرة الجمالية التى تحرص عليها ألـفاظ وتراكيب اللغة العربية ، حتى لو أدت إلى مـخالـفة القـاعدة ، فـالغداة لا تُجـمع علـى الغـدايا ، وإنما تجـمع عـلى الغدوات، ولكنـهم لمَّا قرنوها بالعشايا جـاءت على وزنها لكى تتنـاسب معها ، واسم الفاعـل من ألَمَّت إنما يكون : مُلِمَّة ولكـنها لمَّا قُرِنت بالسـامَّة جاءت على وزنها فصارت الـلاَّمة فى قولهم : أعوذ بك من الـسامَّة واللاَّمَّة ، والمأجورات مهمـوزة والموزورات بالواو ، ولـكن لمَّا اقترنـا جاءت الموزورات مهـموزة أيضًا لتحاذى : المـأجورات فى قوله عليـه الصلاة والسلام : ارجعـن مأزورات غير مأجورات ، وما الإتباع بـين الكلمات : شيطان ليطان ، حـيص بيص ، حسن بسن إلا دليل حرص اللغة على الإيقاع والاهتـمام بالموزونات التى تستريح إليها الأذن حتى ولو لم تكن لها إضافة كبيرة فى المعنى .

إن الحس الجمـالى تحرص عليه الـلغة العربـية فى بنيـتها وتراكيبـها ، وقد تضحى بالقواعد الإعرابية المتعارف عليها ، إذا تخاصمت هذه القواعد مع فكرة الحس الجمالى ، وكنت أتعجب من النحويين حين يقولون إن الجر أنواع : الجر بالحرف والجر بالإضافة والجر بالتبعية والجر بالمجاورة ، وأقف عند هذا الأخير : الجر بالمجاورة فأجدنى أمتدُّ بالمجاورة إلى معانى أرحب وأوسع وأعمق مما يذكره النـحويون ، من أنـه قد يؤخذ الجـار بجرم الجـار ، وإنما أجد المجاورة ولـيدة الحس الجمالى فى العربية ، وهذا ما أكَّده ابـن الصائغ فى كتابه : إحكام الراى فى أحكـام الآى بقوله : اعـلم أن المناسـبة أمر مطـلوب فى اللـغة العربـية ، يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ، وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة ، فعثرت منها على نيف وأربعين حكمًا .

إن الكلام الموزون ذا النغم الموسيقى يثير فـينا انتباهًا عجيبًا ؛ وذلك لما فيه من توقع لـمقاطع خاصة تنسـجم مع ما نسمع من مـقاطع ، كما يساعـدنا على تذكره وترديده دون إرهاق للذاكرة ، ولذا كان حفظ الشعر وتذكُّره أيسر وأهون من النثر ، لما فى الشعر من انسجام المقاطـع وتواليها بحيث تخضع لنظام خاص فى هذا التوالى .

وهذا الكتاب يعرض لـظاهرتين مهمتين من ظواهر موسيقـى اللغة ، يتناول الفصل الأول ظاهرة المحاذاة فـى اللغة العربية على المستـوى الصوتى والصرفى والنحوى ، ويتناول الـفصل الثانى ظاهرة الجمل المتوازيـة وجذورها فى التراث اللـغو ى ، ويطـبِّق ذلك عـلى علـم من أعلام الأدب فـى مصـر فى العـصر الحديث؛ وهو طه حسين، فى رواية من رواياته ، وهى أحلام شهر زاد .

والله ولى التوفيق ،

د. رجب عبد الجواد

الفصل الأول

المحاذاة فى اللغة العربية

الفصل الأول

المحاذاة فى اللغة العربية

المدخـــل

المحاذاة ظاهرة صوتية، صرفية، نحـوية، دلالية ، ولعلَّ أول مَنْ استعمل هـذا المصطلح في العربية هو اللغوي أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) عندما عقد لها بـابًا في كتابه الـصاحبي سـمَّاه : باب المحاذاة[١] ، وعرَّفهـا بقوله: مـعنى المحاذاة أن يُجـعل كـلامٌ بحذاء كـلامٍ ، فيُؤتـى به عـلى وزنه لـفظًا وإن كـانا مختلفين ، ومثَّل لها بقولهم : « الغدايا والـعشايا » ، فقالوا الغدايا لانضمامها إلـى الـعشايا ، والغَدَاة لا تُجمع عـلى الغدايا ، وإنما تُجـمع على غَدَوات لا غـيـر ، ولكنهم كسَّروه علـى ذلك ؛ ليطابقوا بـين لفظه ولفظ العـشايا، فإذا أفردوه لم يكـسِّروه، ومثَّل لها أيضًا بقولـه عليه الصلاة والسـلام يُعوِّذ الحسن والحسين : «أعـيذكما بكـلمة الله التامَّة، من شـرِّ كلِّ سامَّة، ومـــن كل عين لامَّة» ، فالسامَّة مِنَ الفـعل الثلاثى سَمَّتْ، واللاَّمة من الفعـل الرُّباعي: ألمَّ، وكان القيـاس يقتضي أن يقـول: مُلِمَّة ، ولكن لما قُرِنَتْ بالسَّامَّة جُعـلت على وزنها[٢] .

---

(١) الصاحبي بتحقيق عمـر فاروق الطَّباع ص ٢٣١ وما بعدها .

(٢) اللسان : غدو، لمم، مسند ابن حنبل ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، الجامع الصحيح للترمذي ١٨ .

وقد سمَّاها بعض اللغويين : المزاوجة أو الازدواج، فأحمد بن فارس نفسه وضع كتابًا سمَّاه : الإتباع والمزاوجة[1] ، ساق فيه كثيرًا من الكلمات التي تُدرج تحت المحاذاة أيضًا، كما عقد ابن قتيبة (ت ٢٦٧ هـ) في كتابه: أدب الكاتب بابًا سمَّاه: باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام، ومن أمثلته: له الطِّمُّ والرِّمّ، لا يعرف هرًّا من برٍّ ، القومُ في هِيَاط ومِيَاط، ما به حبَضٌ ولا نَبَض، وهو لكَ حِلٌّ وبِلٌّ، هو لا يُدالِسُ ولا يُؤالِسُ[2] .

كما سمَّاها أصحاب المعاجم العربية في مواضع متناثرة : الازدواج، والتزاوج، والمزاوجة، ففي ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠ هـ) : « يقال : أخذني من ذلك ما قَدُم وما حَدُث، لا يُضمُّ حَدَث في شيءٍ من الكلام إلا في هذا الموضع، وذلك لمكان الازدواج[3].

وفي صحاح الجوهري (ت٣٩٣ هـ): يُقال : تَعْسًا له ونَكْسًا، وإنما هو نُكْس بالضم، وإنما فُتح هنا للازدواج. وفيه أيضًا: ويقال : هَنَأَنى الطعام ومَرَأنى، إذا أتبعوها هنأني قالوها بغير ألف، فإذا أفردوها قالوا: أمرأني[4].

وفي لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ): قال ابن مقبل :

هتَّاكِ أخبيةٍ ولاَّجِ أبوبةٍ ... يَخْلطُ بالبِرِّ منه الجِدَّ واللِّينا

فإنما قال: أبوبة للازدواج لمكان أخبية، ولو أفرده لم يَجُزْ. وفيه أيضًا: له عندي ما سَاءَه ونَاءَه، وإنما قال: ناءه، وهو لا يتعدَّى ؛ لأجل سَاءَه ، فهم إذا

(١) الإتباع والمزاوجة بتحقيق د. كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

(٢) أدب الكاتب بتحقيق على فاعور ص ٤١ - ٤٤ .

(٣) ديوان الأدب بتحقيق د. أحمد مختار عمر ، باب فَعُل .

(٤) الصحاح بتحقيق د. أحمد عبد الغفور عطار : نكس ، هنأ .

أفردوا قالوا : أَنَاءَه ، لأنهم إنما قالوا: ناءه ، وهو لا يتعدى لمكان ساءه ليزدوج الكلام[١] .

وفى تاج العروس للزَّبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) : وأمَّا قوله ﷺ لزائرات القبور : «ارجعنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجورات» ؛ أى آثمات، والقياس : موزورات فإنه للازدواج؛ أى لما قابل الموزور بالمأجور قلب الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا[٢] .

وقد سمَّى الثعالبى هذه الظاهرة بالمجاورة؛ وقد عقد فى كتابه : فقه اللغة وسر العربية فصلاً سمَّاه : فى الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة ، وساق أمثلة منها: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ ، بكسر كلمة «خرب» رغم أنها نعت للجُحْر لا نعتٌ للضبِّ ، وقول امرئ القيس :

كأنَّ ثَبيرًا فى عرانين وَبْلِهِ ... كبيرُ أناسٍ فى بَجَادٍ مُزَمَّلِ

بخفض كلمة «مُزَمَّل» رغم أنها نعت للشيخ لا نعتٌ للبجاد[٣] .

وسمَّاها فى موضع آخر من كتابه : حفظ التوازن ، وعقد فصلاً لها بقوله: العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثارًا له، أما الزيادة فكما قال الله تعالى : ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ ، وكما قال: ﴿فأضلونا السبيلا﴾ ، أما الحذف فكما قال جلَّ اسمه ﴿ والليل إذا يَسْرِ ﴾ وقال : ﴿ الكبير المتعال ﴾ ، و ﴿ يوم التناد ﴾ ، ﴿ يوم التلاق ﴾[٤] .

أما ابن جنِّى فقد سمَّى هذه الظاهرة : الجوار ، وعقد لها بابًا فى

(١) اللسان ط دار المعارف : بوب ، نوأ .

(٢) التاج ٣/ ٦٠١ : وزر، سنن ابن ماجه ، باب الجنائز ٥٠ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية بتحقيق سليمان سليم البواب ٣٤٧ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ٣٥٩ .

الخصائص ؛ سمَّاه: باب الجوار ، وجعله على ضربين : أحدهما تجاور الألفاظ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربيْن: أحدهما فى المتصل، والآخر فى المنفصل[1] .

وقد تبعه فى ذلك ابن هشام فى : مغنى اللبيب بقوله: إن الشىء يُعطى حكمَ الشىء إذا جاوره؛ كقول بعضهم : «هذا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ» بالجر، والأكثر الرفع، وقول امرئ القيس:

كأنَّ أبَانًا فى عرانين وَبْلِه　　　كبيرُ أُناسٍ فى بجادٍ مُزمَّلِ[2]

وتبعهما أيضًا السيوطى؛ ففى كتابه: الأشباه والنظائر فى النحو لخَّص ما قاله ابن جنِّى فى الخصائص وما قاله ابن هشام فى مغنى اللبيب ، وساق للجوار أمثلة متعددة[3] .

أما علماء البلاغة والدراسات القرآنية فقد سموا هذه الظاهرة: المناسبة؛ ففى تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى عقد بابًا للمناسبة وجعلها على ضربين: مناسبة فى المعانى، ومناسبة فى الألفاظ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلِّم بمعنى ثم يُتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ؛ كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ﴾ فإنه - سبحانه - لما قدَّم نفى إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله : ﴿وهو اللطيف﴾ خطابًا للسامع بما يفهم، ولما قال: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ عطف على ذلك قوله : ﴿الخبير﴾ تخصيصًا لذاته سبحانه بصفات الكمال، لأن كل من أدرك شيئًا كان خبيرًا بذلك الشىء .

---

(١) الخصائص ، لابن جنى ٣/ ٢٢٢ وما بعدها .

(٢) مغنى اللبيب بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٧٨٨ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/ ١٧٧ - ١٨٠ .

وأما المناسبة اللفظية فهى توخّى الإتيان بكلمات متّزنات، وهى على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتّزان مقفّاة، وأخرى ليست بمقفّاة، فالتقفية غير لازمة للمناسبة، ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة الشعرية قول أبى تمام (طويل):

مَهَا الْوَحشِ إلاَّ أنَّ هَاتَا أوانِسُ قنا الخطِّ إلا أنَّ تلكَ ذَوابِلُ[1]

فقد ناسب أبو تمام بين: مها وقنا مناسبة تامة، وبين الوحش والخط، وأوانس وذوابل، مناسبة غير تامة، وهذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضمّ إليها فيه من المحاسن، فإن فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة، والمساواة، والاستثناء، والطباق اللفظى، وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين[2].

وقد عقد السيوطى فى الإتقان بابًا لائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى، أى أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضًا، بأن يقرب الغريب بمثله والمتداول بمثله؛ رعاية لحسن الجوار والمناسبة[3].

كما ذكر السيوطى عن ابن الصائغ أنه وضع كتابًا سمّاه: إحكام الراى فى أحكام الآى قال فيه: اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يُرتكبُ لها أمور من مخالفة الأصول، وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيِّفٍ وأربعين حكمًا[4].

ومن خلال استقرائى لكتب اللغة والنحو والمعاجم العربية وجدت أن

(١) تحرير التحبير ٣٦٣ - ٣٧١، وانظر بحث المناسبة فى: خزانة الأدب لابن حجة الحموى، ونهاية الأرب للنويرى ٧/١٥٨، وحسن التوسل لشهاب الدين الحلبى، وأنوار الربيع لابن معصوم.

(٢) تحرير التحبير ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) الإتقان بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣/ ٢٦٢ وما بعدها.

(٤) الإتقان ٣/ ٢٩٦ وما بعدها .

المحاذاة موجودة فى ثلاثة مستويات فى اللغة العربية فى المستوى الصوتى، والصرفى، والنحوى، وبذلك قسَّمت البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: المحاذاة الصوتية، وقسَّمت المحاذاة الصوتية قسمين: محاذاة فى الحركات، ومحاذاة فى الحروف أو الأصوات، والقسم الثانى: المحاذاة الصرفية، وجاءت فى عدة صور: إيثار بعض صيغ المشتقات، والجمع على غير قياس، وتحويل المجرد إلى مزيد والعكس، والاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس، والإتباع. أما القسم الثالث فهو المحاذاة النحوية، وهى على ثلاثة أنواع: محاذاة فى علامات الإعراب، ومُحاذاة عن طريق الحذف، ومحاذاة عن طريق التقديم والتأخير.

أما المحاذاة الدلالية فهى متناثرة فى كتب البلاغة وعلوم القرآن، وهى عندهم نوعان: محاذاة فى الألفاظ؛ أو ما يُسمًّى فى البلاغة بالمماثلة، أو المزاوجة، أو الترصيع، أو المناسبة اللفظية، ومحاذاة فى المعانى؛ وهى المناسبة المعنوية(١) .

القسم الأول : المحاذاة الصوتية

وهى نوعان: محاذاة فى الحركات؛ الضم أو الفتح أو الكسر، أو السكون، ومحاذاة فى الأصوات عن طريق القلب، أو الحذف، أو الزيادة، أو الإمالة، أو فك الإدغام.

أولاً : المحاذاة فى الحركات:

قد تتغير بنية الكلمة من حيث الفتح أو الكسر أو الضم أو السكون لتتفق مع كلمة أخرى وتحاكيها؛ ويتحقق بهما معًا المحاذاة الصوتية؛ ومنه قول

(١) حول المناسبة اللفظية والمعنوية انظر: تحرير التحبير، والإتقان فى علوم القرآن وغيرهما.

العرب: أشدُّ العطش حِرَّة على قِرَّة، ويعنون به: أشد العطش ما كان فى يوم بارد، والقياس فتح الحاء: حَرَّة، ولكنهم كسروا الحِرَّة لمكان القِرَّة[1] .

وقال ابن دريد: الحَرَّة - بالفتح-: حرارة العطش والتهابه، ومن دعائهم: رماه الله بالحِرَّةِ والقِرَّةِ؛ أى بالعطش والبرد ، كُسر للازدواج، وهو شائع[2] .

وفى التاج: والجَبَرية - بالتحريك - خلاف القَدَرية، وهو كلام مولّد، وتسكين الباء فى الجَبَرية هو الأصل، لأنه نسبة إلى الجَبْر - بالتسكين -، وقالوا فى التحريك إنه للازدواج؛ أى لمناسبة ذكره مع القَدَرية[3] .

ومن ذلك أيضًا ما رواه اللسان: كانت امرأة من العرب يُقال لها: أم خارجة يُضرب بها المثل فيُقال: أسرع من نِكاح أم خارجة، وكان الخاطب يقوم على باب خبائها فيقول: خِطْب ! فتقول: نِكْح!، ويقول: خُطْب! فتقول: نُكْح[4] !

وقد تحققت بذلك المحاذاة الصوتية بين الكلمتين فى حالتى: كسر الفاء وضمها.

ومنه أيضًا قول الرسول ﷺ عند دخول الخلاء: اللهم إنى أعوذ بك من النِّجْس الرِّجْس الخبيث المُخْبِث»، قال الفرَّاء: إذا قالوا: النِّجْس مع الرِّجْس أتبعوه إياه، فقالوا: رِجْس نِجْس بالكسر، وإذا أفردوه قالوا: نَجَس بالفتح؛ كما فى قوله تعالى : ﴿إنما المشركون نَجَس﴾ للواحد والاثنين والجمع، وإنما كسروا: نِجْس لمكان رِجْس؛ التى هى مكسورة على كل حال[5] .

(١) اللسان (حرر) ٢/ ٨٢٧ .

(٢) التاج ٣/ ١٣٦ : حرر

(٣) التاج (جبر) ٣/ ٨٢ .

(٤) اللسان (خطب) ٢/ ١١٩٤ .

(٥) اللسان (نجس) ٦/ ٤٣٥٢، المزهر ١/ ٣٤٢

ومنه أيضًا قول العرب : «تَعْسًا له ونَكْسًا» بفتح النون فى نَكْسًا، وقياسه: نُكْسًا بالضم، وإنما فُتح هنا للازدواج(١) .

وكذلك قول العرب: جاء بالطِّمِّ والرِّمِّ، والطِّمُّ: البحر، والرِّمُّ: الثرى، أى جاء بالرَّطب واليابس، والطَّمُّ - بالفتح - هو البحر فكُسرت الطاء ليزدوج مع الرِّمّ ؛ فإذا أفردوا الطِّمّ فتحوه(٢) .

وأيضًا قول العرب: جاء بالضِّيحِ والرِّيح، والضيح: الشمس، وجاء بالضيح والريح؛ أى جاء بالمال الكثير، والضِّيح أصله: الضِّحُّ، وإنما أُشبعت الضاد بالكسرة الطويلة لتحاذى الكلمة التى بعدها: الرِّيح(٣) .

وفى حديث ابن مسعود: أنَّه سلَّم على رسول الله ﷺ وهو يصلِّى ، فلم يردَّ عليه السلام، قال: فأخذنى ما قَدُم وما حَدُث»؛ أى همومه وأفكاره القديمة والحديثة، ولا يُقال: حَدُث - بضم الدال - إلا مع قَدُم كأنه إتباع، وقال الجوهرى: لا يُضمُّ حَدُث فى شىء من الكلام إلا فى هذا الموضع، وذلك لمكان قَدُم على الازدواج(٤) .

وفى ديوان الأدب: ومن أمثالهم: السَّراح من النَّجاح، والسَّراح - بفتح السين - الاسم من التسريح، وضَبْطُه: السِّراح - بكسر السين -، ولكن فُتحت السين لتحاذى كلمة النَّجاح(٥) . وفيه أيضًا: المِنْخِر لغة فى المَنْخِر، والمِنْتِن لغة فى المُنْتِن، والأصل فيهما: مَنْخِر ومُنْتِن، فكُسر أوائلهما إتباعًا للعين وشبهًا

(١) اللسان (نكس) ٦/٤٥٤١ ، المزهر ١/٣٤٢ .

(٢) اللسان (طمم) ٤/٢٧٠٦ .

(٣) اللسان (ضحح) ٤/٢٥٥٦ - ٢٥٥٧ .

(٤) اللسان (حدث) ٢/٧٩٦، المزهر ١/٣٣٩ .

(٥) ديوان الأدب للفارابى ١/٣٧٦ (فَعَال) .

بِفِعْلِل[1] ، وفى ذلك يقول ابن يعيش: منهم من يقول مُنُتُن بضم التاء إتباعًا لضمة الميم، ومنهم من يقول: مِنْتِن بكسر الميم إتباعًا لكسرة التاء؛ إذ النون لخفائها وكونها غُنَّة فى الخيشوم حاجز غير حصين[2] . ومن المحاذاة الصوتية فى الحركات ما جاء على لغة تميم من كسر فاء صيغة فَعيل إذا كانت العين أحد الحروف الستة الحلقية: أ. هـ. ع. غ. ح. خ، وكذلك صيغة فَعِل إذا كانت صفةً أو فعلاً أو اسمًا، وما كَسْر الفاء إلا لتحاذى العين وتتبعها ، فيقولون: لِئِيم، وشِهِيد، وسِعِيد، ونِحِيف، ورِغِيف، وبِخِيل، وبِئِيس، ويقولون أيضًا: شِهِدٌ، ولِعِبٌ، وضِحِكٌ، نِغِلٌ، ووِخِمٌ، وفِخِذٌ. وهناك من غير التميميين من قال: مِغِيرة ومِعِين، أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مِنْتِن، وأُنْبُؤُك وأَجُوءُك، يريد أَنْبِئك وأجيئك، وقالوا فى حرف شاذ: إِحِبُّ ونِحِبُّ ويِحِبُّ، شبَّهوه بقولهم: مِنْتِن[3] . وأنشد سيبويه للأخْطَل:

إذا غَاب عنَّا غاب عنَّا فُراتُنا وإن شِهْدَ أَجْدَى فَضْلُه وجَدَاوِلُه

والشاهد فيه تحريك الشين بالكسر إتباعًا لحركة عينها قبل الإسكان، وهذا الإتباع مطرد فيما كان ثانيه أحد حروف الحلق، وكان مبنيًا على فَعِل، فعلاً كان أو اسمًا فى لغة بنى تميم[4] .

ويقرِّر اللغويون أن كل فِعْل جاء على فَعِل بكسر العين، وعينه حرف حلقى يجوز فيه كسر الفاء إتباعًا لكسر العين؛ نحو: نِعِمَ وبِئِس[5] .

ويؤكد سيبويه أن الألف الموصولة فى الأفعال مكسورة دائمًا، إلا إن كان

(1) ديوان الأدب ١/٣٠٣ : باب مِفْعِل .

(2) الأشباه والنظائر ١/١٤ .

(3) الكتاب ٤/١٠٧ - ١٠٩ .

(4) الكتاب ٤/١٦٦، الدرر اللوامع الشاهد رقم ١٤٠٧ .

(5) الأشباه والنظائر ١/١٤ .

الحرف الثالث مضمومًا فتضمها، وذلك قولك: اُقْتُل، اُسْتُضْعِفَ، اُحْتُقِرَ، اُحْرُنْجِم، وذلك أنك قربت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، ولا يقصد سيبويه من قوله : «يكون العمل على وجه واحد»، إلا تحقيق المحاذاة بين الحركات، كما فعلوا ذلك فى: مُذُ اليومُ يا فتى، كما ساق سيبويه من الشعر ما يؤكد هذه المحاذاة فى الحركات كقوله: وقالوا: اضْرِبِ الساقَيْنِ إِمِّكَ هابِلُ . فالشاهد فيه: إتباع همزة إِمِّك لكسرة نون «الساقين» كما روى أيضًا : « إِمِّك هابل » بإتباع ميم «إمِّك» لكسرة الهمزة ، فيكون فى هذا الشطر إتباعان، ومنهم من يرويه: «الساقينُ أُمُّك» بإتباع نون «الساقين» لهمزة «أمك»، ويُروى للنعمان بن بشير الأنصارى، ومنهم من نسبه لامرئ القيس:

وَيْلُمُّها فى هواءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مَطلوبُ

أراد : «ويلُ أمها» فحذف الهمزة استخفافًا، ثم أتبع حركة اللام حركة الميم[1] . ويروى لنا ابن جنى فى المحتسب أنَّ أهل البادية قرأوا: «الحمدُ لُله» مضمومة الدال واللام، كما قرأ إبراهيم بن أبى عبلة وزيد بن علىٍّ والحسن البصرى: «الحمدِ لله» مكسورتين، ثم يؤكد أن المحاذاة أو الإتباع كثر فى كلامهم وشاع، ولذا أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصارت «الحمدُ لُله» كعُنُق وطُنُب، و «الحمدِ لله» كإِبِل وإِطِل. وفى قوله تعالى : ﴿وإياك نستعين﴾ قرأها الفضل الرُّقَاشى «وأَيَّاك» بفتح الهمزة، إتباعًا لما قبلها «الواو» وما بعدها «الياء». وأمَّا قوله تعالى: ﴿أنعمتَ عليهم﴾ فقد ساق لها ابن جنى عشر قراءات، منها ما لا يُفسَّر إلا بالإتباع فى الضم: عليهُمُ، عليهُمُو، أو بالإتباع فى الكسر: عليهِمِ،

(1) الكتاب ٢/ ٢٩٤، ٤/ ١٤٦ - ١٤٧، وانظر الخصائص ٢/ ١٤٥، ٣/ ١٤١، وشرح الشافية ٤/ ١٧٨ - ١٧٩.

عليهِمِى[1]. وما قول سيبويه إن الهاء تُكْسَر إذا كان قبلها ياء أو كسرة، إلا بسبب المحاذاة؛ فالهاء خفية كما أن الياء خفية، وهما من حروف الزيادة، فكما أمالوا الألف كسروا الهاء، وقلبوا الواو ياء، لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة، فالكسرة ههنا كالإمالة فى الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها، وذلك قولك: مررت بِهِى قبل، ولديْهِى، ومررت بدارِهِى قبل[2] . وأما قوله تعالى: ﴿ولا الضالِّين﴾ فقد قرأ أيوب السختيانى : «ولا الضَأَلِّين» بالهمز المفتوح ، ويفسِّر ابن جنِّى ذلك بقوله : ووجه ذلك أن الألف ساكنة وهى مجاورة لفتحة الحرف قبلها، والحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تنزله العرب منزلة المتحرك بها؛ من ذلك قولهم فى الوقف على بكْر : هذا بَكُرُ، ومررت ببكِرِ، ألا ترى حركتى الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها . ومنه قول جرير:

لَحَبَّ المُؤقدانِ إلىَّ مُؤْسى ... وجَعْدَةُ إذ أضاءهُما الوَقُودُ

فهمز الواو فى الموضعين: المؤقدان، مؤسى، لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما، فصارت الضمة كأنها فيهما، والواو إذا انضمت ضمًّا لازما فهمزها جائز، نحو: أُقِّتت فى «وُقِّتت» وكذلك الفتحة قبل الألف لما جاورتها صارت كأنها فيها، وقد قرأ عمرو بن عبيد **«فَيَوْمَئذٍ لاَ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِه إِنسٌ وَلا جَأَنٌّ»** الرحمن ٣٩، مع ملاحظة تحريك الهمز فى الكلمتين: الضَأَلِّين، جَأَنٌّ؛ لتحدث المحاذاة فى الفتح، كما حدث فى قول كُثَيِّر فى مدح عمر بن عبد العزيز:

وأنتَ ابنُ ليلى خيرُ قومِكَ مشهدًا ... إذا ماْ العوالى بالعبيط احْمَأَرَّتِ

وقوله فى مدح عبد العزيز بن مروان :

---

(١) المحتسب ١/ ٣٧ - ٤٦ .

(٢) الكتاب ٤/ ١٩٥ .

وللأرضِ سُودُها فتجلَّلَتْ بياضًا وأمَّا بِيضُها فادْهَأَمَّت[1]

ويذهب الفراَّء إلى أن كلمة : مُنْذُ أصلها مركبة من كلمتين: مِنْ، وذو التى بمعنى الذى فى لغة طيِّىء، ثم قلبت كسرة الميم ضمة لتحاذى ضمة الذال بعدها[2] .

ومن المحاذاة أيضًا فى الأفعال أن الأصل فى الفعل المضارع أن تختلف حركة عينه عنها فى الماضى؛ ولذا يُقال: ضَرَبَ يضْرِبُ، ونَصَرَ ينْصُرُ، فما كان ماضيه على فَعَل، مفتوح العين، فإن مستقبله يأتى بالضم أو بالكسر، ولكن لا يأتى مستقبله بالفتح إلا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق الستة؛ وذلك لتتحقق فيه المحاذاة، لأنهم ضارعوا بفتحة العين فى المضارع جنس حرف الحلق؛ لما كان موضعًا منه مخرج الألف التى منها الفتحة[3] .

وفى قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات ٧]، يقول أبو حيان الأندلسى، فيمن قرأ «الحِبُك» بكسر الحاء وضم الباء: إن هذا مما اتَّبَع فيه حركة الحاء لحركة تاء «ذات» فى الكسر، ولا يُعتدُّ بالساكن لأنه حاجز غير حصين[4] .

وأمَّا قراءة كسر الباء مع كسر الحاء «الحِبِك» فقرأ بها أبو مالك الغفارى والحسن ووجهها أن يكون الأصل حِبْكًا بكسر الحاء وسكون الباء ثم حُرِّكت الباء بالكسر إتباعًا لحركة الحاء، ومنه قول الشاعر:

أرتْنىَ حِجْلاً على ساقِها فهشَّ الفؤادُ لذاكَ الحِجِلْ

وقال الآخر :

(١) المحتسب ١/ ٤٧، الخصائص ٣/ ١٢٦ .

(٢) اللسان ٦/ ٤٢٧٦: منذ، شرح المفصَّل ٨/ ٤٥ .

(٣) إصلاح المنطق ٢١٧، الخصائص ٢/ ١٤٣ .

(٤) البحر المحيط ٨/ ١٣٤، تحفة الأقران ٥٢.

علَّمنا إخـوانُنا بنـو عِجِـلْ شُرْبَ النبيذِ واعتقالاً بالرِجِلْ

ففى البيت الأول حُرِّكت الجيم لمحاذاة حركـة الحاء فى الكسر، وفى الثانى حُرِّكت الجيم أيضًا لمحاذاة العين والراء[1] .

وفى قـوله تعـالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنـكُمْ طَوْلاً أَن يَنـكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء ٢٥] قرأ يزيـد بن قطيـب «المُحْصُنَات» بضم الصـاد ، ووجه ذلك فى اللغة هو تحقيق المحاذاة بين الميم والصاد ؛ وفى ذلك يقول أبو حيان: « وضم الصاد إتـباع لضم الميم ، كمـا قالوا «مِنْتِن» ولم يعتدوا بـالحاجز؛ لأنه ساكن، فهو حاجز غير حصين[2] . وفى قوله تـعالى : ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الرعد ٣٣] ، قرأ ابن وثَّاب «وصِدُّوا» بكسر الصـاد، ووجهها أن أصله «صُدِدُوا» بضم الصـاد وكسر الدال، ثم كُسِرت الصـاد إتباعًا ومحاذاة للـدال، ثم أدغموا فقالـوا : صِدُّوا، وهى لغة بـنى ضبَّة، وكذلـك قرأ ابن وثَّاب والحسـن وغيره ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف ٦٥] بكسـر الراء: رِدَّتْ ، وأصـلها أيضًا : «رُدِدَتْ» ثم كـسرت الراء لـتحاذى الـدال، ثم أُدغم المـثلان[3] . وفى قـوله تعالى: ﴿عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ ٤٨] قرأ حمزة وأبـو بكر «الغِيوبِ» بكسـر الغين ، ووجهها أنه لمـا اجتمع ضمَّتان وياء وواو استـثقلوا ذلك ، فحولوا ضـمة الغين كسرة للتنـاسب مع الياء بعدها، ونظيـره: شِيوخ، وبِيوت، وجِيوب، وعِيون، بكسر الشين والباء والجيم والعين[4] .

---

(١) الحجـة لابن خالـويه ٢١٩، تحفـة الأقـران ٥٣، البحر المحـيط ٨/ ١٣٤، شرح المفـصل ٩/ ٧١، اللسان: حجل .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٢١٤، تحفة الأقران ١٢١ .

(٣) الكشـاف ٢/ ٣٦٢، البحـر المحيط ٥/ ٣٩٥، تحفة الأقران ١٢٤ .

(٤) البحر المحيط ٧/ ٢٩٢ ، تحفة الأقران ١٣٥ .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ فَلا تَقُل لَّهُما أُفٍّ﴾ [الإسراء ٢٣] فقد قرأ هارون وأبو السمَّال بالضمِّ والتنوين «أُفٌّ» وبالضم وغير التنوين «أُفُّ» ، للمحاذاة والإتباع، بين الهمزة والفاء، كما كسروا الميم فى «مِنْتِن» إتباعًا لكسرة التاء مع كون الحاجز ظاهرًا، فالمحاذاة هنا أولى لأن الحاجز مدغم[١] . وأما قوله تعالى : ﴿وَامْسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة ٦] فقد قرأ بجر اللام من «أرجلِكم» ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر، وأنس، وعكرمة وغيرهم، وللغويين فى ذلك تأويلات منها: أن الجرَّ جاء للجوار، أى لمجاورة اللام فى «أرجلكم» السين فى «رؤوسكم» ، وبذلك تحققت المحاذاة بينهما بالجر، وقد ضعَّف الرعينى وأبو حيَّان ذلك ، فقال الرعينى : الخفض على الجوار تأويل ضعيف ، لأن الصحيح من الخفض على الجوار مع قلته ألا يكون إلا فى النعت لا فى العطف ، كما أنه مختص بالشعر، لكنه مردود عليه بأمرين: ورود الحمل على الجوار فى النثر ؛ كالقول المشهور: هذا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ ، كما أن الزمخشرى أيَّد ذلك[٢] . وقال ابن هشام : «وأرجلِكم» بالخفض إنه عطف على أيديكم لا على رؤوسكم؛ إذ الأرجل مغسولة لا ممسوحة، ولكنه خفض لمجاورة: رؤوسكم[٣]. وأما قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف ٢٩]، فقد قرأ أبو السمال بضم اللام «وقُلُ» إتباعًا لحركة القاف قبلها، ولكى تحدث المحاذاة بينهما[٤] . وقوله تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة ١٦] قرأ أبو السمال بفتح الواو فى «اشْتَرَوَا» ووجهها أنها فُتحت إتباعًا لحركة الفتح على التاء والراء قبلها[٥] . وكذلك قوله تعالى : ﴿فَتَمَنَّوُا

(١) المحتسب ٢/ ١٨ ، الكشاف ٢/ ٤٤٤، البحر المحيط ٦/ ٢٧، تحفة الأقران ١٣٩ .

(٢) الكشاف ١/ ٦١١، البحر المحيط ٣/ ٤٣٧، تحفة الأقران ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/ ١٧٧ .

(٤) تحفة الأقران ١٦١ .

(٥) تحفة الأقران ١٨٩ .

﴿الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة ٩٤] فقد قرأ أبو عمرو بفتح الواو فى «فتمنَّوَا» لمحاذاة فتحة النون قبلها[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة ٤٢] فقد قرأ الحسن البصرى بفتح الواو فى «لو» إتباعًا لحركة اللام قبلها[2] . وقوله تعالى : ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم ٩٦] فقد قرأ أبو الحارث الحنفى بفتح الواو فى «وَدًّا» إتباعًا لحركة الدال بعدها، وأمَّا السبعة فقد قرأوا بضم الواو إتباعًا لحركة النون قبلها[3] . وفى قوله تعالى : ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم ٤] قرأ السبعة بفتح الهاء فى «وهن» لمحاذاة الواو قبلها[4] . ومن مظاهر المحاذاة الصوتية فى الحركات قول العرب : «اللهمَّ اجعلنا من المُنْسِيِّين فى قلوب المُؤْذِيِّين» فقد حاذوا بين : المُنْسِيِّين والمؤذيِّين، وكان القياس يقتضى أن يُقال : المَنْسِيِّين - بفتح الميم - لكنهم ضموها لتحاذى الميم فى المؤذيِّين التى كان قياسها أن تكون بياء واحدة : المؤذين، ولكن زادت فيها الياء لتحاذى ما قبلها[5] .

ومن ذلك قول بعض الأعراب :

لَئِنْ بعثَتْ أمُّ الحُمَيدين مائِرًا   لقدْ غَنِيَتْ فى غيرِ بُؤْسٍ ولا جُحْدِ

والجُحْد قياسه : الجَحْد بفتح الحاء، وإنما ضُمَّت لمحاذاة الكلمة السابقة عليها وهى: بُؤْس، كما قالوا: رِجْسٌ نِجْسٌ، إذا أتبعوا، فإذا أفردوا قالوا: نَجِس بفتح فكسر[6] .

(١) البحر المحيط ١/ ٣١٠، تحفة الأقران ١٩٠ .

(٢) المحتسب ١/ ٢٩٢، تحفة الأقران ١٩١ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٢١ ، تحفة الأقران ١٩١ .

(٤) تحفة الأقران ١٩٤ .

(٥) تثقيف اللسان ١٣٤ .

(٦) ديوان الأدب ١/ ١٥١ باب فُعْل، ١/ ١٨٦ : فِعْل، اللسان ١/ ٥٤٧ : جحد .

ومنه قولــه تعالى : ﴿إنها ترمـى بشَرَر كالقَصَر﴾ بتحريـك الصاد، لمحاذاة الكلمة السابـقة عليها: شَرَر[1] ، ومن ذلكَ أيـضًا ما يحدث لـكلمتـى: ابنم، وامرؤ فى الـرفع والنصب والجر، فـفى الرفع: ابنُمٌ، وامْرُؤٌ، وفى الـنصب: ابنَمًا وامْرَأً، وفى الجر: ابنِمٍ ، وامْرِىءٍ، وما ذلك إلا بسبب قانون المحاذاة فى اللغة[2] .

وفى هذا يقـول السيوطى : « وإتبـاع حركة الحرف الذى قبـل آخر الاسم المعرب لحركـة الإعراب فى الآخر، وذلك فى امْرِىء وابنم ، فـإن الراء والنون يتبعان الهمزة والميم فى حركتهما؛ نحو : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ [النساء ١٧٦]، و ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم ٢٨] ، و ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ [النور ١١] ، وكذا ابنم ولا ثالث لـهما فى إتباع العين اللام. وكذلـك إتباع حركة الفاء اللام ؛ وذلك فى مِرْئ وفمٍ خاصة ؛ فإن الميم والـفاء يتبعان حركة الهمزة والميم فى بعض اللغات؛ فـيقال: هذا مُرْءٌ وفُمٌ، ورأيت مَرْأً وفَمًا، ونظرتُ إلى مِرْءٍ وفِمٍ، ولا ثالث لهما[3] .

وفى الكشاف قرأ أبو جعفـر من رواية ابن جمـاز : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَـةُ اسْجُدُوا﴾ [البقرة ٣٤] قرأ بضم الـتاء «للملائكةُ» إتـباعًا لضم الجيم، ولـم يعتد بالساكن فاصلاً، ووافقه الشنبوذى[4] .

ومن المُحاذاة الصوتية فى الحركات أنَّ مِنَ العرب مَنْ يُحرِّك الآخر كتحريك ما قبله ، فإن كان مفتوحًا فتحوه، وإن كان مضمومًا ضَمُّوه، وإن كان مكسورًا كسوره، وذلك قولك: رُدُّ، وعَضَّ، وفِرِّ يا فتى، واقْشَعِرِّ، واطْمَئِنِّ، واسْتَعِدِّ،

(١) ديوان الأدب ١/ ٢١٣: فَعَل .

(٢) الكتاب ٢/ ٢٠٣ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى ١/ ١٣ .

(٤) الأشباه والنظائر ١/ ١٧، إتحاف فضلاء البشر ١٧٥ .

واجترَّ، واحمرَّ وضارَّ؛ لأن قبلها فتحة والألفَا، فهى أجدر أن تُفتح، ورُدُّنا، ولا يُشلُّكم الله، وعَضَّنا ومُدُّنى إليك ولا يُشلُّك الله وليَعَضَّكم . ومن ذلك قول جرير : غُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ[1] بإتباع الضاد المشددة للطاء المشدَّدة أيضًا.

ومن المحاذاة الصوتية فى الحركات أيضًا إتباع حركة العين للفاء فى الجمع بالألف والتاء؛ نحو : تَمْرة تَمَرَات، بالفتح، وسِدْرة سِدِرَات؛ بالكسر، وغُرْفة غُرُفات؛ بالضم[2] . ومن ذلك إتباع حركة اللام للفاء فى البناء على الضم فى كلمة : مُنْذُ؛ فإن الذال ضُمَّت إتباعًا لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزًا، ونظيرها فى ذلك بناء: بَلْهَ على الفتح إتباعًا لفتحة الباء، ولم يعتد باللام حاجزًا لسكونها[3]، ومن ذلك ما أنشده سيبويه ونسبه لرجل من أزد السراة:

ألاَرُبَّ مولودٍ وليسَ له أبٌ وذى وَلَدٍ لمْ يَلْدَهُ أبوانِ

أراد بالمولود الذى ليس له أب عيسى عليه السلام، وأراد بالذى لم يلده أبوان آدم عليه السلام، والشاهد فى :يَلْدَه، فقد التقى ساكنان: اللام والدال، ثم حُرِّك الدال بحركة أقرب المتحركات إليها؛ على الياء، وهى الفتحة؛ لأن الساكن حاجز غير حصين، جعلوا حركته كحركة أقرب المتحركات منه، وعاملوه كما فى كلمة: أَيْنَ، وكَيْفَ[4] .

ومن المحاذاة الصوتية فى الحركات إتباع حركة الفاء للعين فى لغة من قال فى: لَدُنْ: لُدُ، قال ابن يعيش: من قال لُدُ بضم الفاء والعين فإنه أتبع الضمَّ الضمّ بعد حذف اللام[5] .

(١) الكتاب ٣/ ٥٣٢ - ٥٣٣، شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٥٩٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٤ .

(٣) شرح المفصل ٤/ ٤٧، الأشباه والنظائر ١/ ١٤ .

(٤) الكتاب ٢/ ٢٦٦، شرح المفصل ٤/ ٨٤، الأشباه والنظائر ١/ ١٤.

(٥) الأشباه والنظائر ١/ ١٤ .

ومنها إتباع حركة فاء كلمة لحركة فاء أخرى لكونها قُرنت معها، وسكون عين كلمة لسكون عين أخرى أو حركتها لحركتها كذلك، قال ابن دريد فى الجمهرة: تقول ما سمعت له جَرْسًا إذا أفردت، فإذا قُلْتَ: ما سمعتُ له حِسًّا ولا جِرْسًا، كسرت الجيم للإتباع؛ أى كسروا فأتبعوا اللفظَ اللفظ[1] .

ثانيا: المحاذاة فى الحروف (الأصوات):

ونعنى بها: تغيير يطرأ على الكلمة فى أحد أصواتها من أجل أن تحاذى كلمة قبلها أو بعدها، ولها خمس صور؛ هى: القلب، والحذف، والزيادة، والإمالة، وفكُّ ما استحقَّ الإدغام.

١ - القلب : ويكون ذلك بقلب أحد الأصوات إلى صوت آخر لتصبح الكلمة فى مجموع أصواتها محاذية لكلمة بعدها أو قبلها، ففى حديث الرسول ﷺ «ارجعْنَ مأزورات غيرَ مأجورات» حاذت كلمة: مأزورات كلمة مأجورات، وأصل: مأزورات: موزورات بالواو، لأنها مأخوذة من الوِزْر، وهو الذنب، ولكنه أتبع: مأجورات، ويقال: رجلٌ موزور غير مأجور، ولما قابلوا الموزور بالمأجور قلبوا الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا[2] .

وقد يكون الجوار سببًا هامًا من أسباب تحقيق المحاذاة، وقد عقد ابن جنى بابًا فى الخصائص سمَّاه: باب الجوار، وجعله على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربيْن: أحدهما فى المتصل، والآخر فى المنفصل، فأما المتصل، فمنه مجاورة العين للاَّم بحملها على حكمها، وذلك قولهم فى: صُوَّم: صُيَّم، فقد شبَّهوا باب صُوَّم بباب عصىّ فقلبه بعضهم، ومثله قولهم فى جُوَّع: جُيَّع؛ قال الشاعر:

(١) جمهرة اللغة: جرس، اللسان ١/ ٥٩٧: جرس، الأشباه والنظائر ١/ ١٤ .

(٢) اللسان ٦/ ٤٨٢٤: وزر، التاج ٣/ ٦٠١: وزر .

ومعرَّضٍ تغلى المراجلُ تحتَه بادرْتُ طبختَها لرهط جُيَّع

وأنشدوا:

لولا الإله ما سكنَّا خَضَّما ولا ظَلِلْنا بالمَشَاء قُيَّما

وأصلها : قُوَّما من قام يقوم .

وعليه ما أنشده محمد بن حبيب من قول النابغة الجعدى:

بُرَيْذينة بلَّ البراذين ثَفْرها وقد شربت من آخر الصيف أيَّلا

وقد أجازوا فيه أن يكون أراد: جمع آئل، أى خاثر، من قولهم: لبن آئل؛ أى خاثر، وآل اللبن يئول إذا خثر، فقلبت العين حملاً على قلب اللام[1] .

ومن الجوار فى المتصل قول جرير بن عطية من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك:

كَحَبٌ المؤقدانِ إلىَّ مُؤسى وجعدة إذا أضاءهما الوقودُ

وأثر الجوار فى البيت إبدال الواو فى «الموقدان» و «موسى» همزة لمجاورتها للضمة قبلها، فكأنها مضمومة، والهمز يجوز فى الواو المضمومة ؛ نحو : أجوه في : وجوه ، وأُقِّتت فى وقِّتت[2] . ومن ذلك قراءة أبى حيوة : ﴿وبالآخِرَةِ هُمْ يُؤقِنُونَ﴾ [البقرة ٣] بالهمز.

ومن الجوار فى المنفصل قول العرب للرجل إذا قدم من السفر: أوبةً وطوْبةً ؛ أى أُبتَ إلى عيش طيب ومآب طيِّب، والأصل فى طوْبة: طيْبة، من طاب يطيب، فقالوه بالواو لمحاذاة أوْبة، وقال ابن خالويه: إنما قالوا: طَوْبة،

(١) الخصائص، لابن جنى، بتحقيق محمد على النجار ٣/ ٢٢٢ .

(٢) الخصائص ٢/ ١٧٧ .

لأنهم أزوجوا به أوْبة[1] .

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق القلب قول العرب: «أنكحْنا الفَرَا فسنرى» والفَرَا أصلها: الفرأ؛ وهو الحمار الوحشى؛ وقد أبدلوا من الهمزة ألفًا ليحاذى: فسنرى، أو كما قال ثعلب: فإنما هو على التخفيف البدلىّ موافقةً لسنرى، لأنه مَثَلٌ، والأمثال موضوعة على الوقف، فلمَّا سُكِّنت الهمزة أُبْدِلت ألفًا لانفتاح ما قبلها، ومعناه: قد طلبنا عالى الأمور فسنرى أعمالنا بعد[2] .

ومن ذلك أيضًا قول خالد بن زهير الهُذَلى :

يا قوم مالى وأبا ذؤيب ... كنتُ إذا أتوتُه من غيب

يَشُمُّ عِطفى ويبُزُّ ثوبى ... كأنما أريته بريْب

ففى البيت الأول قال : أتوتُه، وأصله: أتيته بالياء من الفعل أتى، وإنما قلب الياء واوًا لتحاذى التاء المضمومة بعدها، ومنه قول العرب: رجل أسوان أتوان؛ أى حزين؛ وقياسه: أتيان من أتى، ولكنه حاذى بين أسوان وأتوان[3] .

وقول السليك بن السلكة السعدى :

سيكفيكَ صَرْبَ القومِ لحمٌ مُعرَّضٌ ... وماء قُدُور فى القصاع مَشِيبُ

مشيب أصلها: مشوب، من الفعل: شاب يشوب ولكنه قلب الواو ياء ليحاذى بين فاء الكلمة وعينها[4] .

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق القلب ما قاله أبو النجم : فلستُ بالجافى

(1) المزهر للسيوطى ١/ ٣٤٠.

(2) الصحاح، ١/٦٣: فرأ ، اللسان ٥/٣٣٦٨: فرأ .

(3) الأمالى للقالى ٢/٢٠٨، تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٦٣.

(4) المخصص ١٠/ ١٨٠، اللسان: صرب، تهذيب إصلاح المنطق ١/ ٣٦٥

ولا المجفىّ ، والمجفىّ أصلها : المجفوّ، من الـفعل جفا يجفو، ولكنه أراد أن يُحدث المحاذاة بـين الجافى والمجفىّ، ولذا قـلب الواو ياءً . قال الفـرَّاء : بناه على جُفى ، فلما انقلبت الواو ياء فيما لم يسمٍّ فاعله بنى المفعول عليه، ومعنى الرجز: إنه حسن الخلق كريم يحب الناس ويحبونه[1] .

ومن ذلك أيضًا قول عبد يغوث بن وقّاص الحارثى :

وقد عَلِمَتْ عِرْسى مُلَيْكَةُ أننى أنا الليْـثُ مَعْديًّا عليه وعـادِيَا

وأصل : مـعديًّا : معـدوًّا، من الفـعل عـدا يعدو، وقـد قلب الـواو ياء لتحدث المحاذاة بين: معديًّا، وعاديًا[2] .

وقال منظور بن مرثد الأسدى :

أزْمَانَ عيْنَاءُ سُرُورُ المَسْرُورْ عيْناءُ حَوْرَاءُ من العِيْنِ الحِيْرِ

فقال : الحِيْر وكـان قياسه : الحُوْر بالـواو، ولكنهـا لما جاءت بعد كـلمة: العِيْن أراد أن يحاذى بينهما[3] .

وقال منظور أيضًا :

هل تعرف الدار بأعلى ذى القوْر قد درســت غير رمـاد مكفـورْ

مكتئـب اللـــون مَرِيـحٍ مَمْطورْ

قال : مَرِيح، وأصلـها : مَرُوح، من الفعل راح يروح، وقد قـلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها[4] .

---

(١) إصلاح المنطق ١٨٥ ، أدب الكاتب لابن قتيبة ٣٨٠ تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٦٦ .

(٢) الكتاب ٤/ ٣٨٥ ، أدب الكاتب ٣٨٠ .

(٣) أدب الكاتب ٤٠٢ .

(٤) أدب الكاتب ٤٠٤ .

وقال حُميد بن ثور الهلالى

ويَأْوِى إلى زُغْبٍ مساكينَ دونَهُمُ ... فَلاً لا تخطَّاهُ الرِّفاقُ مَهُوبُ

فكلمة : مَهُوبُ، أصلها: مَهيب، من الفعل هاب يهيب، بناء على قول من قال : قد هُوبَ الرجلُ، وقلب الياء واوًا للمناسبة بين لام الكلمة وعينها[1].

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق القلب كتابة المصحف؛ مثلاً إنهم كتبوا : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[2] بالياء وهو من ذوات الواو، لما قُرن بغيره مما يُكتب بالياء؛ والضحى ، وقد نظم فى ذلك أبو البقاء الكفوى قوله:

قَدْ يُقْرَنُ بى امرؤٌ فيُعْطَى شأنى ... كالليلِ إذا سَجَى ليأتينى[3]

وفى الحديث الشريف: إن المنافق إذا وُضع فى قبره سُئل عن محمد ﷺ وما جاء به ، فيقول لا أدرى، فيُقال: «لا دَرَيْت ولا تَلَيْتَ ولا اهتديت» ومعنى: ولا تليت: ولا تلوت؛ أى لا قرأت ولا درست، من الفعل تلا يتلو، فقالوا: تليت بالياء ليعاقب بها الياء فى دَرَيْت ؛ وليزدوج الكلام مع: دريت، واهتديت[4] . وفى الصحاح: يُقال: لا دَرَيْتَ ولا تلَيْتَ؛ تزويجًا للكلام، والأصل: ولا ائتليت، وهو افتعلت من قولك: ما ألوتُ هذا؛ أى ما استطعته؛ أى ولا استطعت[5] .

وفى الأساس: «تقول العرب: «الموت طريق ميتاء، وهو لكل حيٍّ ميداء»

(١) أدب الكاتب ٤٠٥ .

(٢) سورة الضحى ٢.

(٣) الكليات لأبى البقاء ٨٥٦ .

(٤) اللسان : تلا ١/ ٤٤٥، الأشباه والنظائر فى النحو ١/ ١٥ .

(٥) الصحاح: تلو، المزهر للسيوطى ١/ ٣٤٢ .

والقيـاس: مِثْتَاء بالهمز، عـلى وزن مِفْعَال من أتيـت، أى طريق يأتيـه الناس، والدليل علـى أن الكلمة بالهمز قـوله عليه الصلاة والسـلام فى حديث آخر : «لولا أنه وعد حق وقول صـدق وطريق مثتاء لحزنّا عليك يـا إبراهيم » ، وإنما قلبت العرب الهمزة ياء فى : «ميتاء» لتحاذى كلمة: ميداء[1] .

ومن المحاذاة أيضًا قول العرب: فلان كريم المواتـاة، جميل المواساة» بقلب الهمـزة واوًا فى الكلـمتين : المواتـاة، والمواساة، وأصلـها: المؤاتاة مـن آتى، والمؤاساة من آسى، وإنما قـلبت الهمزة واوًا لتحقيـق المحاذاة رغم أن الجوهرى نسب ذلك إلى لـغة العامة، والأصل تحقيـق الهمز[2] . وقد يحدث عـكس ما سبق ؛ أى تتحول الواو إلـى همزة لتتحقق المحاذاة ؛ فى قـوله عـليه الصـلاة والسـلام : « اللـهم إنـى أعوذ بـك من الأَلْس والأَلْق » ، فـالأَلْس : الخداع والخيـانة، والأَلْق: الجنـون، وأصل الأَلْق: الوَلْق، وإنمـا قلـبت الواو هـمزة لتزدوج مـع الكلمة الـسابقة عليـها، وهى الألس، وتتـحقق بهمـا معًا المحاذاة الصوتية[3].

ومن ذلك قول العـرب : « إنه لأمور بالمعروف نَهُوٌّ عن المنـكر»، قال ابن بَرِّى: كان قيـاسه أن يُقال: نهـىٌّ؛ لأن الواو والياء إذا اجـتمعتـا وسبق الأول بالسكون قلبـت الواو ياء، ومثل هذا فى الشذوذ: قولهم فـى جمع فتىّ فتوٌّ ، وإنما قلبت الياء واوًا لتتحقق المحاذاة بين: أَمُورٌ، ونَهُوٌّ[4] .

ومنـه أيضًا قول الـعرب : «أثقـلُ من البِرْذَوْنِ ، وأضـرُّ من الجِرْذَوْنِ» ،

---

(١) الأساس ١/ ٣ : أتى ، التاج ١٠/ ٨ - ٩ : أتى .

(٢) صحاح الجوهرى : أتى ، الأساس ١/ ٤: أتى ، التاج ١٠/ ١٠ أتى.

(٣) اللسان ١/ ١١٠: ألق .

(٤) الأساس ١/ ١٩: أمر، التاج ١٠/ ٣٨١: نهى .

والبِرْذَوْن: الدابـة، وقيل: ضرب من الخـيل من غير نـتاج العِراب، والجِرْذَوْن أصلها: الجِرْذَان، بالألـف؛ وهى نوع من الأحناش ، وقيل مـن السِّباع، وقيل الذكر الكـبير من الفأر، وإنما قُلـبت الألف واوًا فى: الجِرْذَوْن لتحـاذى كلمة: البِرْذَوْن قبلها[1] .

ويقول العرب أيضًا : «فى أُذُنـه طَرَشٌ، وفى جلده بَرَشٌ» والبَرَش أصله: البَرَص، ولكـن العرب كرهـوا أن يقولوا: الـبَرَص - بالصاد - فـقلبوا الـصاد شينًا، وأطلقوا على جذيمة بن مالك: الأبرش، وكان به بَرَص، فكنوا به عنه، ومن هنـا دخلت مادة (بـرش) فى المعاجم الـعربية لتـدل على كل مـا فيه نُقَطٌ بيض، إلى جانب تحقق المحاذاة بين كلمتى : طَرَش، وبَرَش، ويبدو أن المحاذاة هى التى جعلـت العرب يستعملون الكـلمة بعد ذلك بالشين إلى جـانب السبب النفسـى الذى أشار إليه أصحـاب المعاجم[2] . وجاء فـى تثقيـف اللسـان لابن مكى: فأمّا قولهم: جعله الله فالاً لا يفيل»؛ أى لا يخيب، فعلى تسهيل الهمزة ليتـجانس الكـلام، والأصل: الفأل ضـد الطيرة، مـهموز، كمـا قالوا: جئـته بالغدايا والعشايا، و«ارجعن مأزورات غير مأجورات»[3] .

٢ - الحـــذف : قد تـزيد العـرب صوتًا أو تحذف صوتًا لـتحقـيق التـوازن بين الكلمات؛ ومما حذفته العرب لتحقيق المحاذاة بين الكلمات قول لبيد بن ربيعة :

إنَّ تَقْوَى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذن الله ريثى وعَجَلْ

فكلمة عَجَلْ أصلها : عَجَلى بإلحاق ياء المتكلم، ولكنه حذفها وسكَّن عين الكلمة ولامها لتحاذى كلمة: نَفَلْ. ومنه قول الأعشى:

(١) الأسـاس ١/ ٤١: برذ، اللسان ١/ ٢٥٢، ٥٩١: برذ، جرذ.

(٢) الأساس ١/ ٤٢: برش، اللسان ١/ ٢٥٧: برش .

(٣) تثقيف اللسان، ابن مكى الصقلى، تحقيق د. عبد العزيز مطر، ص ١٥٩ .

ومن شانىءٍ كاسفٍ وجهه   إذا ما انتسبْتُ له أنكَـرَنْ

فكلمة : أنكرن أصلـها : أنكرنى بإلحاق ياء المتكلم، ولكنـه حذفها واكتفى بنون الوقاية ساكنة لتحاذى قافية الأبيات[1] .

وقد ورد فى القـرآن الكريم كثير مـن الحروف المحذوفة لحفظ الـتوازن بين الكلـمات ولتحـقيق المحاذاة بـين الفواصل القـرآنية ؛ كمـا فى قوله تـعالى : ﴿وَالـلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[2] ويسْرِ أصلـها : يسرى بـالياء، وحُذفت الـياء لتحـقيق المحاذاة مع ما قبـلها وما بعدها من آيات، وقـوله تعالى : ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[3] وأصلها المتعـالى، وقـوله تعـالـى : ﴿يَوْمَ التَّلاقِ﴾ و ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾[4] بحذف ياء المنـقوص مع أن الاسم مـعرَّفٌ بأل، وكلام العـرب لا يحذف ياء المـنقوص المعرَّف بأل ، وإنما حُـذف هنا لتحقيـق المحاذاة الصوتية. ومنه قـوله تعالى : ﴿فكيف كـان عذابى ونُذُر﴾ وقوله تـعالى : ﴿فكيف كـان عقاب﴾ بحذف ياء الإضافـة فى الآيتين؛ وأصـلها: ونذرى، عـقابى، كل ذلـك من أجل تحقـيق الجانب الجمالـى فى الكلام المتمثل فـى المحاذاة أو المناسبة بين الكـلمات ، كما فى قـوله تعالـى أيضًا : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[5] فحذف مـنها تاء التـأنيث، وأصلها: بغيَّة، فلما حُوِّلت عـن فاعل نقص منها حرف[6] . وكقوله تـعالى : ﴿هؤلاء ضيفى فلا تفضحون﴾ وأصلها فلا تفضحـونى ، وفى أساس البلاغة: تقول العـرب: « لم يزل يقرِّظ أحياكم، ويـؤبِّن موتاكم»[7] فقد حُذفت الهمزة من أحياءكم لإحداث المحـاذاة مع كلمة: موتاكم. ويقول الفـقهاء : «إذا استقا فقا فى رمضان» والقياس: استقاءَ فقاءَ - بالهمز والمد فيهما جميعًا - وإنما سُهِّل

(١) فقه اللغة وسر العربية ٣٥٩ .
(٢) الفجر آية ٤ .
(٣) الرعد آية ٩ .
(٤) غافر آية ١٥، ٣٢ .
(٥) مريم ٢٨ .
(٦) الإتقان للسيوطى ٣/ ١٧١ .
(٧) الأساس ١/ ٢: ابن .

الهمز لتتحقق المحاذاة بين الكلمتين: استقا، فقا[1] . ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[2] والقياس ارجعونى - بياء المتكلم - ولكن حُذفت للفاصلة القرآنية والمحاذاة الصوتية .

وفى التاج: والحِرّ بالكسر وتشديد الراء: فرج المرأة لغة فى المخففة، لأن العرب استثقلت حاءً قبلها حرف ساكن فحذفوها وشددوا الراء، وهو فى حديث أشراط الساعة: يستحل الحِرّ والحرير، قال ابن الأثير: هكذا ذكر أبو موسى فى حرف الحاء والراء، وقال : الحر بتخفيف الراء: الفرج، وأصله: حِرْح بكسر الحاء وسكون الراء، ومنهم من يشدد الراء وليس بجيد، فعلى التخفيف يكون فى ح ر ح، وإنما حذف رسول الله ﷺ الحاء من الكلمة الثلاثية لتحدث المحاذاة بين: الحر والحرير[3] .

٣ - **الزيادة** : وأما ما زادته العرب من أصوات فى الكلمة لتحقيق المحاذاة، قولهم : «لكل ساقطة لاقطة» ويعنون به: لكل نادرة من الكلام من يحملها ويشيعها بين الناس، وكان ينبغى أن يُقال: لكل ساقطة لاقطٌ، ولكنهم أدخلوا الهاء فى كلمة اللاقطة ليزدوج الكلام وتتحقق المحاذاة[4] .

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة بقاء حرف العلة مع وجود أداة جازمة تقتضى الحذف؛ كما فى قوله تعالى : ﴿لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾ [طه ٧٧] ، وقوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ [الاعلى ٦] ، على القول بأنه نهى[5] . ويقول العرب فى أمثالهم : بفيه البَرَى، وحُمَّى خيبرى، وشرٌّ ما يُرى، فإنه خيسرى»، والبَرَى هو التراب، وخيبرى هى خيبر، وخيسرى:

(١) تثقيف اللسان ٢٦١ .

(٢) المؤمنون ٩٩ .

(٣) انظر: تاج العروس: حرر ٣/ ١٣٤ .

(٤) أدب الكاتب لابن قتيبة ٥١ .

(٥) الإتقان للسيوطى ٣/ ٢٩٧ .

الخسران والهلاك، ونلاحظ زيادة الألف فى : خيبر، وخيسر، لتحدث المحاذاة بين الكلمات الأربع: البرى، خيبرى، ما يرى، خيسرى، ولا يُقال : خيبرى، وخيسرى بالألف إلا فى هذا الإتباع فقط، أما فى غير هذا فيقال: خيبر، وخيسر بدون الألف(١) .

وفى القرآن الكريم زادت بعض الحروف لتتحقق المحاذاة بين الفواصل القرآنية ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الاحزاب ١٠]، فقد زادت الألف لتحاذى الفاصلة التى قبلها: بصيرا، والتى بعدها: شديدًا، وقوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ [الأحزاب ٦٧] ، فقد زاد حرف الألف، وأصلها: السبيلَ، لتحاذى الفاصلة التى قبلها والتى بعدها، وقوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ﴾ [الأحزاب ٦٦] بزيادة الألف لتحاذى بقية فواصل السورة(٢) .

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة فى القرآن الكريم إثبات هاء السكت فى قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة ٢٨، ٢٩] فأصل ماليه: مالى، وأصل سلطانيه: سلطانى، ثم زادت هاء السكت لتحدث المحاذاة مع الفاصلة التى قبلها والتى بعدها؛ فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة ١٨، ١٩، ٢٠] .

وكذلك فى قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ وأصلها فى ماهىَ ، وزادت الهاء لتحاذى ما قبلها: فأمّه هاوية، وما بعدها: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة ٩، ١٠، ١١].

(١) مجمع الأمثال ١/ ١٣٠، ديوان الأدب للفارابى ٢/ ٨٠ باب فِعْلى، اللسان: برى ١/ ٢٧٢: خسر ١١٥٦/٢ .

(٢) حول فواصل الآى فى القرآن الكريم انظر : الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٣/ ٢٩٠ - ٣٠١ .

ومـن ذلك قـولـه - ﷺ - : « لـيس فـى حَجْرة ولا بـغـلة زكـاة »؛ والحَجْر: الفرس الأنثى، لم يدخلوا فيه الهاء؛ لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر، والجمع: أحجار، وحُجُورة، وحُجُور، وإلحاق الهاء هنـا لمشاكلة كلمة : بَغْلة، وهو باب واسع[1] .

وجاء فى التـاج: سأل الرشيد اليزيـدى والكسائى عن قصـر الشراء ومده، فقـال الكسـائى: مقصـور لا غير، وقـال اليزيـدى: يُمدُّ ويُقصـر، فقـال له الكسائى : من أين لك ؟ فقال اليزيدى : من المثل السائر : لا يُغترُّ بالحُرَّة عـام هدائها ، ولا بالأمة عام شرائها ، قال المـناوى : ولقائل أن يقول إنما مدّ الشراء لازدواجه مع ما قبله فيحتاج لشاهد غيره[2] .

ومن أمثال العرب الـتى تحقق فيها المحاذاة بالزيـادة قولهم: «لا يُنْبتُ البَقْلَة إلا الحَقْلَة»[3]؛ أى لا يلد الوالد إلا مثله، وقال الأزهرى: يُضرب مثلاً للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيـس، وقال ابن سيده: وأراهم أنَّثوا الحقلة فى هذا المثـل لتأنيـث البَقْلة، وبذلـك تتحقق المحـاذاة بينهـما عن طريـق زيادة تاء التأنيث.

وفى حديـثه ﷺ : «يا أبا عُمَيْر ، ما فَعَل الـنُّغَيْر ؟» والنُّغَر طائر صـغير مثل العصفور، وبتصغيره جاء الحديث[4] ، وإنما صغَّره الرسول ﷺ رغم أن الكلمة تدل على الطائر الصغير لـكى تحاذى كلمة : «عُمَيْر» قبلها. ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريـق الزيادة قوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لسلَّطهـم عليكم فلقاتلوكم﴾ فقد زادت اللام فى «فلقاتلوكـم» لمحاذاة اللام فى «لسلطهم» وهى

(١) اللسان: حجر ٢/ ٧٨٤، التاج: حجر ٣/ ١٢٥ .

(٢) التاج ١٠/ ١٩٦ : شرى .

(٣) ديوان الأدب ١/ ١٤٤ باب فَعْلة، مجمع الأمثال ٢/ ٢٣٣، اللسان ٢/ ٩٤٥ : حقل .

(٤) ديوان الأدب ١/ ٢٥٣ : فُعَل .

جواب «لـو» ، فالقياس : لسلَّطهم عليكم فقاتلوكم ، وإنما زادت اللام للمحاذاة، ومثله قوله تعالى : ﴿ **لأُعذّبنّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنّه أو ليأتينِّى بسلطان مبين**﴾ ، فاللام فى «لأعذبنّه ، لأذبحنّه» لام القسم، أمَّا اللام فى «ليأتينِّى» فإنما جاءت للمحاذاة ، فليس هذا موضع قسم ، لكنه لما جاء على إثر ما يجوز فيه القسم أُجرى مجراه[1] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**﴾ [البقرة ٩]، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «وما يخادعون» بزيادة الألف لمحاذاة اللفظ الأول، وبذلك تكون المفاعلة من الجانبين[2] .

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة إدخال (ال) التعريف على العلم ؛ وذلك فى قول الشاعر :

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا .

والأصل : الوليد بن يزيد ؛ ولكنه أدخل (ال) عليها لتحاذى كلمة: الوليد قبلها، قال ابن جرير : حسَّن دخول اللام فى اليزيد الإتباع للوليد[3] .

٤ - **الإمالة** : مصدر الفعل: أملته وأميله إمالة، والميل: الانحراف عن القصد؛ يقال: مال الشىء ، ومال الحاكم: إذا عدل عن الاستواء. والإمالة فى الاصطلاح عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء[4].

وقد تُتَّخذ الإمالة وسيلة من وسائل تحقيق المحاذاة الصوتية بين الكلمات ؛ ففى القرآن الكريم قُرِئ بالإمالة ﴿**والشمس وضحاها**﴾، والضحى اسم

(١) الكليات لأبى البقاء ٨٥٦ .

(٢) السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٤١ ، تقريب النشر لابن الجزرى ٩٠ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/ ١٥ - ١٦ .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٥٤ .

مقصور وهو جمع ضحوة كقرية وقُرى ، والقياس يأبى الإمالة لأنه من الواو وليس فيه كسرة ، وإنما أمالوه حين قُرن بـ : جلاَّها ، ويغشاها ، وكلاهما مما يُمال لأن الألف فيهما من الياء ، لقولك : جلَّيته، وكذلك ألف يغشى ، لقولك فى التثنية: يغشيان، فأرادوا المشاكلة، ولو انفردت كلمة الضحى وحدها لم تمل، وإنما أُميلت لازدواج الكلام حين اجتمع مع ما يُمال[1] .

وكما أمالوا فى «الشمس وضحاها» أمالوا أيضًا فى : «والضحى، والليل إذا سجى» وذلك لتحقيق المحاذاة بين الكلمات .

وقد أمالوا الفتحة فى قوله تعالى : ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرُ أولى الضرر**﴾ فى كلمة الضَرَر وكذلك فى قوله تعالى : ﴿**وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ**﴾[2] وفى قولهم : من الضرر، ومن الكبر، ومن الصغر، ومن المحاذر، والفتحة تُمال كما تُمال الألف، لأن الغرض من الإمالة هو مشاكلة الأصوات وتقريب بعضها من بعض، وذلك موجود فى الحركة كما هو موجود فى الحرف، لأن الفتحة من الألف، وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، لأن الحركات والحروف أصوات، وإنما رأى النحويون صوتًا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفًا والضعيف حركة، وإن كانا فى الحقيقة شيئًا واحدًا، فلذلك دخلت الإمالة فى الحركة كما دخلت الألف ؛ إذ الغرض إنما هو تجانس الأصوات وتقريب بعضها من بعض، فكل ما يوجب إمالة الألف يوجب إمالة الحركة التى هى الفتحة، وما يمنع إمالة الألف يمنع إمالة الفتحة، وأكثر ما جاء ذلك مع الراء المكسورة، تقول: من الكبر، ومن الصغر . . . إلخ فأمالوا الفتحة بأن أجنحوها إلى الكسرة فصارت بين الفتحة وبين الكسرة[3] .

(١) السابق ٩/ ٦٤ .

(٢) آل عمران آية ٤٠ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٦٤ - ٦٥ .

٥ - فكُّ ما استحقَّ الإدغام :

كما فى قول النبى ﷺ فى حديثه لـنسائه : « ليت شعْرى أيتكُنَّ صاحبةُ الجملِ الأدْبَبِ، تـخرج فتنـبحها كـلابُ الحوأب» ؟ أراد: الأَدَبّ، وهو الكـثير الوبر؛ وإنَّما فكَّ التضعيف ليوازن ويحاذى به كلمة: الحوْأب[1].

القسم الثانى : المُحاذاة الصرفية

نعنى بها تغـيير يطرأ على بنية الكلـمة وصيغتها لكى تتفق مـع كلمة سابقة عليها أو لاحقة بها فى الوزن الصرفـى، ومن خلال حصر الألفاظ التى تحققت فيهـا المحاذاة الصرفيـة يمكن تصـنيفها فـى عدة صور: مجئ المـشتق علـى غير قياس، والجمع عـلى غير قياس، وتحويل المجرد إلى مـزيد والعكس، والاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس، وإيثار بعض صيغ المشتقات، والإتباع .

أولاً : مجئ المشتق على غير قياس :

كمـا فـى قـوله عليــه الصلاة والسلام : « أعيذه من كلِّ عامَّة ولامَّة ومن شرِّ كلِّ سامَّة»، قال أبو عبيد: ولم يقل مُلمَّة، وأصـلها من ألممتَ بالشىء تأتيه وتلمُّ بـه؛ ليزاوج قوله : «ومن شـرِّ كلِّ سامّة»[2] ، وقال ابن فارس: ومـثله قولهم: «أعوذ بك من السامّة واللامَّة، فالسامة من قولك: سَمَّتْ إذا خصَّتْ، واللامّة أصـلها من ألّمت، وكـان حقُّه أن يقول: مـن السامّة والمُلِمَّة، لكـن لما قُرِنَتْ بالسامة جُعلت فى وزنها[3] .

وجاء فـى الخبـر : «خير المـال سِكَّة مأبورة، أو مُهْرة مـأمورة» والـسّكة: السطر من النخل، والمأبورة: الملقَّحة، والمهرة المأمورة: كثيرة الولد، أراد: خير

(١) اللسان ٢/١٣١٦ : دبب ، الأشباه والنظائر ١/ ١٥ .

(٢) تاج العروس ٩/ ٦٣ : لمم .

(٣) الصاحبى ٢٣١ ، المزهر ١/ ٣٣٩ .

المال ما كان زرعًا أو نتاجًا، والفعل من: مأمـورة آمر، وكان القياس يقتضى أن يقول: مُؤْمَرة، وإنما أتى بها: مأمورة، للازدواج، لأنهم أتبعوها: مأبورة، فلما ازدوج اللـفظان جـاءوا بمأمورة علـى وزن مأبورة، كـما قال ﷺ : ارجـعن مأزورات غير مأجورات، وإنما هو موزورات من الوِزْر[١] .

ومن المحاذاة الصرفية عـن طريق مجئ المشتق على غير قـياس قول النابغة الذبيانى:

كِلينى لهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطىءِ الكواكبِ

فالفعـل من : ناصب: أنصب، وكان الـقياس أن يُشتق اسم الفـاعل منه علـى: مُنْصِب، ولكنه أراد تحـقيق المحاذاة مـع: الكواكـب، بدليل قـول أبى طالب: ألا مَنْ لِهَمٍّ آخر الليل مُنْصِبِ[٢] . وناصب: مُتْعِب، وفعله: أنصب، فهو من الوصف الـذى لم يجر على فعله، وجاء علـى معنى: ذى نصب[٣] . ومن ذلك أيـضًا: هو البشيـر النذير، وكان القـياس يقتضـى أن يُقال: المُبشِّر؛ لأنها من الفـعل: بَشَّر، والمُنْذِر ؛ لأنها من الفعل أنذر، ولـكن حدثت المحاذاة بين الكلمتين عن طريق مجيئهما على غير قياس.

ويقول الثعالبى: ومن سنن العرب أنها قـد تحذف من الكلام بعضه لتتحقق المحاذاة؛ كما فى قولـهم: ليلٌ نائمٌ؛ أى يُنام فيه، وليلٌ سـاهرٌ؛ أى يُسهر فيه، وفى القرآن الكريم : ﴿**فى يوم عاصفٍ**﴾ ؛ أى يومٌ عاصفُ الرِّيح، وقد حدث الحذف لتتحقق المحاذاة[٤] .

ثانيا: الجمع على غير قياس:

قد يجمع العرب الكلمة على غير قياس لتحاذى كلمة قبلها أو بعدها، يقول

(١) اللسان: أمر ١/١٢٦ - ١٢٧، المزهر ١/ ٣٤٠ .

(٢) اللسان : نصب ٦/ ٤٤٣٥ .

(٣) الكتاب ٢/ ٣٠٧ «هامش» .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ٣٤٨ .

ابن فارس: ومن سنن العرب المحاذاة، وذلك أن تجعل كلامًا ما بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظًا وإن كان مختلفين؛ فيقولون: الغدايا والعشايا، فقالوا: الغدايا، لانضمامها إلى العشايا[1] .

وفى اللسان: وقالوا : إنى لآتيه بالغدايا والعشايا، والغداة لا تُجمع على الغدايا، ولكنهم كسَّروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا، فإذا أفردوه لم يكسِّروه.

وقال ابن السكِّيت فى قولهم : إنى لآتيه بالغدايا والعشايا، قال: أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للازدواج، وإذا أفرد لم يجز، ولكن يُقال: غداة والجمع غدوات لا غير[2] .

ومن ذلك أيضًا قول القُلاخ بن حُبابة، وقيل ابن مُقْبل:

هتَّاكِ أخبيةٍ ولاَّجِ أبوبةٍ　　　يخلطُ بالبرِّ منه الجِدَّ واللِّينا

فكلمة: باب تُجمع قياسًا على أبواب وبيبان؛ وإنما قال أبوبة للازدواج لمكان أخبية، ولو أفرده لم يَجُزْ، وكان الوزير ابنُ المَغْرَبىِّ يسألُ عن هذه اللفظة على سبيل الامتحان، فيقول: هل تعرفُ لفظة تُجمع على أَفْعِلة على غير قياس جمعها المشهور طلبًا للازدواج ، يعنى هذه اللفظة ؛ وهى أبوبة[3] .

ثالثًا : تحويل المجرد إلى مزيد والعكس :

قد يتحوَّل الفعل المجرد إلى فعل مزيد، وقد يتحول المزيد إلى مجرد لتحقيق المحاذاة بين كلمتين، ومن ذلك ما جاء فى الصِّحاح: قال الفرَّاء : يُقال: هنأنى الطعام ومَرَأنى ، والفعل مرأ تحوَّل إلى مجرد، وأصله: أمرأنى،

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة ٢٣١ ، وانظر فقه اللغة وسر العربية ٣٤٨ .

(٢) اللسان (غدو) ٥/ ٣٢٢٠ .　　(٣) اللسان (بوب) ١/ ٣٨٢ - ٣٨٣ .

فإذا أتبعوها كلمة هنأنى قالوها بغير الألف، فإذا أفردوها قالوا: أمرأنى بزيادة الهمزة فى أوله(١) .

وفى اللسان: قالت العرب: أكلتُ طعامًا فهنأنى ومرأنى، معناه إذا أُفْرِد: أمرأنى، فحذف منه الألف لما أُتبع ما ليس فيه الألف(٢) .

ومن ذلك أيضًا قول العرب: له عندى ما ساءه وناءه، والفعل: ناء لا يتعدى، والقياس أن يقال: أناءه، وإنما حذف الهمزة ليحاذى الفعل: ساءه، وفى اللسان: أراد ساءه وناءه، وإنما قال: ناءه وهو لا يتعدى، لأجل: ساءه، فهم إذا أفردوا قالوا: أناءه، لأنهم إنما قالوا: ناءه، وهو لا يتعدى لمكان ساءه ليزدوج الكلام(٣) .

وأما تحويل المجرد إلى مزيد من أجل تحقيق المحاذاة ما قاله الكُميت :

أَبْرِقْ وأَرْعِدْ يا يزيـ ـد فما وعيدُك لى بضائرْ

فالفعلان : أبرق ، وأرعد مجردان : بَرَق ، ورَعَد ، ففى حديث أبى مُلَيْكة: إنَّ أمَّنا ماتت حين رَعَد الإسلام وبَرَق بغير همزة، والأمر منهما: ابْرُق، وارْعُد، كما يقول ابن أحمر:

يا جُلَّ ما بَعُدَتْ عليكَ بلادُنا فابْرُقْ بأرضِكَ ما بدا لَكَ وارْعُدِ

ولم يكن الأصمعى يرى بيت الكُميت حُجَّة ؛ لأنه عنده مولّد ، وإنما قال: أَبْرِقْ، وأَرْعِدْ للازدواج، ولتحقيق المحاذاة بين الفعلين(٤) .

(١) الصحاح (مرأ) ١/ ٧٢ .

(٢) اللسان (نوأ) ٦/ ٤٥٦٧ ، المزهر ١/ ٣٣٩ - ٣٤٢ .

(٣) اللسان (نوأ) ٦/ ٤٥٦٧ ، المزهر ١/ ٣٣٩ - ٣٤٢ .

(٤) إصلاح المنطق ٢٢٦ ، أدب الكاتب ٢٤٥ ، اللسان : رعد .

رابعًا: الاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس:

قد تتحقق المحاذاة بين الكلمات عن طريق الإتيان بالمفرد فى موضع التثنية أو الجمع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾(1) وكان القياس يقتضى: فتشقيا إلا أن الحس الجمالى فى القرآن الكريم أبى إلا أن يحقق المحاذاة بين الفواصل القرآنية؛ فى الآية السابقة عليها: إلا إبليس أبى ، والآية التالية: ألا تجوع فيها ولاتعرى.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾(2) كان القياس يقتضى أن تُجمع: أنهار، لجمع جنَّات، ولكن الفاصلة فى السورة من أولها إلى آخرها تنتهى بالراء، حتى عنوان السورة: القَمَر، فجاءت الآيات منسجمة فى نهاية بديعة، وقد تحققت المحاذاة بين الكلمات التى انتهت بها كل آية ، وكقوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(3) ، والقياس رُفقاء . وإنما استغنى بالمفرد : رفيقًا عن الجمع: رُفَقَاء لتحقيق المحاذاة الصرفية، والتزام الفاصلة قبلها وبعدها، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾(4) ، وكان القياس يقتضى جمع كلمة: ظهير جمعًا سالمًا أو مُكسَّرًا على : ظهيرون، أو ظُهَراء، ولكنه استغنى بالمفرد عن الجمع لتحقيق المحاذاة(5) .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(6) قال أبو عبيدة: إمامًا هو واحد يدل على الجمع كقوله : فى حلقكم عظمًا وقد شُجينا ، و«إن المتقين فى جنات ونهر» ، وكان القياس يقتضى جمع إمام على أئمة، واجعلنا للمتقين أئمة، ولكن المحاذاة بين نهايات الآيات هى التى جعلت المفرد فى موضع الجمع أو المناسبة.

---

(1) طه ١١٧ . (2) القمر ٥٤ (3) النساء ٦٩ .

(4) التحريم ٤ . (5) تأويل مشكل القرآن ٢٨٤، ٢٨٥ .

(6) الفرقان ٧٤ .

والمناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول؛ يقول ابن الصائغ: وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاةً للمناسبة فعثرت منها على نيِّفٍ وأربعين حكمًا[1] .

ومن ذلك أيضًا قول العرب: أقبل الحاجُّ والداجُّ، والحاجُّ الذين يحجُّون، والداجّ الذين معهم من الأُجراء والمكارين والأعوان ونحوهم، وهذان اللفظان وإن كانا مفردين فالمراد بهما الجمع، كقوله تعالى : ﴿**مستكبرين به سامرًا تهجرون**﴾ ، وإنما وُضع المفرد موضع الجمع لتحقق المحاذاة بين الكلمتين: الحاجُّ والداجّ، ولا تتحقق لهما لو جُمعا[2] .

ومن مظاهر الاستغناء بالمفرد عن المثنى فى القرآن الكريم من أجل الفاصلة قوله تعالى : ﴿**إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا**﴾[3] فإنهما رجلان: قُدار وآخر معه، ولم يقل: أشقياها، للفاصلة، ولتحقيق المحاذاة بين الآيات.

أما من مظاهر الاستغناء بالمثنى عن المفرد قوله تعالى : ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[4] قال الفرَّاء: أراد جنَّة، كقوله تعالى : ﴿**فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[5] فثنى لأجل الفاصلة، والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام[6] . ومنه قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[7] ، فاللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من الماء المالح لا من العذب ، ولكنه استغنى بضمير المثنى : منهما عن الإفراد والتفصيل؛ لتظل الفاصلة القرآنية وتتحقق المحاذاة[8]. ومن مظاهر الاستغناء بالجمع عن المفرد لتحقيق المحاذاة قوله تعالى:

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٣/ ٢٩٦ .
(٢) اللسان (دجج) ٢/ ١٣٢٧ .
(٣) الشمس ١٢ .
(٤) الرحمن ٤٦ .
(٥) النازعات ٤١ .
(٦) الإتقان فى علوم القرآن ٣/ ٢٩٩ .
(٧) الرحمن ٢٢ .
(٨) تأويل مشكل القرآن ٢٨٧ .

﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[1] ، والقياس: ولا خُلَّة، كما فى الآية الأخرى، وإنما جاء بالجمع للفاصلة والمحاذاة.

خامسًا : إيثار بعض الصيغ :

قد تؤثر اللغة بعض الصيغ دون بعض؛ لأنه من خلالها تتحقق المحاذاة بين الكلمات؛ ففى القرآن الكريم : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِينِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[2] فقد آثر القرآن: سينين على الأصل: سيناء، وذلك لتحقيق المحاذاة بين الفواصل القرآنية: التين، سينين، الأمين. ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[3] فقد آثر صيغة فعيل على فاعل من أجل الفاصلة.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[4] باستعمال صيغة فُعال وإيثارها على فعيل .

وقد يؤثر القرآن الكريم وضع «فاعل» موضع «مفعول» والعكس؛ ففى قوله تعالى : ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[5] وُضع «مفعول» موضع «فاعل» والمعنى حجابًا ساترًا، وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[6] وُضع أيضًا «مفعول» موضع «فاعل»؛ والمعنى: إنه كان وعده آتيًا .

وقد يقع «فاعل» موقع «مفعول» فى قوله تعالى : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[7] والمعنى فى عيشة: مرضيَّة، وفى قوله تعالى : ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾[8] والتقدير: مدفوق. وإيثار بعض هذه الصيغ جاء لتحقيق الفاصلة، وكذلك لتحقيق المحاذاة بين نهايات الآيات، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[9] ، والتقدير : مأمونًا فيه، فجعل الفاعل مكان المفعول، وقوله

(1) إبراهيم ٣١ .
(2) التين ١، ٢، ٣ .
(3) مريم ٦٤ .
(4) سورة ص ٥ .
(5) الإسراء ٤٥ .
(6) مريم ٦١ .
(7) الحاقة ٢١ .
(8) الطارق ٦ .
(9) العنكبوت ٦٧ .

تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[1] ، والتقدير : مُبْصَرًا بها ، فقد جعل اسم الفاعل فى موضع اسم المفعول[2] .

وقد تتحقق المحاذاة بإيثار صيغة الجمع للعاقل على صيغة الجمع لغير العاقل ، أى بإجراء غير العاقل مجرى العاقل ، كما فى قوله تعالى : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3] ؛ فقد أجرى الشمس والقمر والكواكب مجرى العاقل . وكذلك قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4] . فأسند للفعل واو الجماعة ، وعامل الليل والنهار معاملة العاقل ، كل ذلك من أجل تحقيق المحاذاة ومراعاة الفواصل[5]. ومن مظاهر المحاذاة أيضًا العدول عن صيغة الماضى إلى صيغة الاستقبال من أجل الفاصلة والمحاذاة ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[6] ، والقياس كان يقتضى : وفريقًا قتلتم[7] .

ومن ذلك تذكير اسم الجنس أو تأنيثه حسب ما تقتضيه المحاذاة ، كما فى قوله تعالى : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[8] ، وقوله تعالى : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[9] ، فاستعمل فى الأولى : منقعر لتحاذى ما قبلها وما بعدها من آيات ، واستعمل فى الثانية : خاوية للسبب السابق ، فسورة القمر فواصلها : الراء ، وسورة الحاقة : فواصلها التاء المربوطة ، وبذلك تحققت المحاذاة فى اللفظ والمعنى أيضًا[10] .

سادسًا : الإتباع : يُعدُّ الإتباع صورة من صور المحاذاة الصرفية ، وهو من سنن كلام العرب ، وقد عرَّفه أحمد بن فارس بقوله : هو أن تتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعًا وتأكيدًا ، وقد سُئل بعض العرب عن ذلك فقال : هو

(1) الإسراء ١٢ .
(2) تأويل مشكل القرآن ٢٩٦ .
(3) يوسف ٤ .
(4) الأنبياء ٣٣ .
(5) الإتقان ٣/ ٣٠٠ .
(6) البقرة ٨٧ .
(7) الإتقان ٣/ ٣٠١ .
(8) القمر ٢٠ .
(9) الحاقة ٧ .
(10) الإتقان ٣/ ٢٩٧ .

شىء نَتَدُ به كلامنا، وذلك قولهم: ساغبٌ لاغبٌ، وهو خَبٌّ ضبٌّ، وخرابٌ يبابٌ، وقد شاركت العجمُ العربَ فى هذا الباب[1] . وفى كتاب: الإتباع والمزاوجة يقول ابن فارس: هذا كتاب الإتباع والمزاوجة؛ وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على روىٍّ واحد، والوجه الآخر: أن يختلف الرويَّان، ثم تكون بعد ذلك على وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف، إلا أنها كالإتباع لما قبلها، والآخر: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق[2] .

وقد عقد أبو على القالى للإتباع بابًا هامًا فى أماليه، وجعله على ضربين: ضرب يكون فيه الثانى بمعنى الأول فيؤتى به توكيدًا؛ لأن لفظه مخالف للفظ الأول؛ وضرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول[3] .

ولن نتحدَّث عن الإتباع الذى تمَّ دون تغيير صرفى للكلمة التابعة للسابقة عليها، وإنما يهمنا الكلمة التى خالفت القاعدة أو القياس الصرفى من أجل أن تحقق المحاذاة مع الكلمة السابقة عليها[4] .

ومن المحاذاة الصرفية التى تحققت عن طريق الإتباع بمخالفة القياس قول العرب: هو أسوانٌ أتوانٌ، فأسوان من قولهم: أسى الرجل يأسى: إذا حزن، وأسوان؛ أى حزين، وأتوان من قولهم: أتيته، ومعنى قولهم: أسوان أتوان: حزين متردد يذهب ويجئ من شدة الحزن؛ وكان القياس يقتضى أن يُقال: أسوان أتيان؛ ولكن قلبت الياء واوًا على لغة هذيل التى تقلب الواو ياءً؛ ودليلنا قول خالد بن زهير الهذلى :

---

(١) الصاحبى ٢٦٣، وانظر النص أيضًا فى: فقه اللغة وسر العربية ٤١٣ .

(٢) الإتباع والمزاوجة ٢٨ .

(٣) الأمالى، للقالى ٢/٢٠٨ - ٢١٨ .

(٤) حول ظاهرة الإتباع انظر: الإتباع لأبى الطيب اللغوى، والإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس، والأمالى لأبى على القالى ٢/٢٠٨ - ٢١٨، المزهر للسيوطى ١/ ٣٤٠ وما بعدها .

يا قوم ما بالُ أبى ذؤيب　　　كنتُ إذا أتوتُه من غَيْبِ

ويقول العرب: شيطانٌ ليطانٌ، وليطان مأخوذ من قولهم: لاط يلوط؛ أى لصق، ويُقال: للولد فى القلب لوطة، أى حب لازق، ومعنى قولهم: شيطان ليطان؛ شيطان لصوق، وكان القياس يـقتضى أن يُقال: شيطان لوطان، ولكن قلبت الواو ياء لتحقيق المحاذاة بين الكلمتين.

ويقول العرب: عـيىٌ شيىٌ، وشيٌ أصله: شوىٌ، ولكنـه أُجْرِىَ على لفظ الأول ليكون مثله فى البناء .

ويقول الـعرب: خبيثٌ نبـيثٌ، النبيـث هو الذى ينبث شـرَّه؛ أى يُظهره، وكان قياسه أن يقول: خبيث نابثٌ، فقيل: نبيث لمجاورته لخبيث.

ويقول العرب: فَدْم لدْم، والفدْم: العيـىّ البليد، واللَّدْم، أصلها: اللَّطْم، بالطاء، وهو الملطوم، كما قـالوا: ماء سكب؛ أى مسكوب، ودرهم ضرْب أى مضروب، وقد أُبدلت الطاء دالاً لتشاكل الكلام وتحقيق المحاذاة.

ويقول العرب: حَسَنٌ بَسَنٌ، وبَسَنٌ أصلها: بسٌّ، وبسَّ السويق بسًا إذا لتَّه بسمـن أو زيتٍ ليكمل طـيبه، وقد حُذفت إحدى الـسينين وزيدت فيـه النون، وبُنى على مثال: حَسَنٌ، ومعناه: حسن كامل الحسن، إذ مذهبهم فى الإتباع أن تكون أواخر الكـلم على لفظ واحد، مثـل القوافى والسجع، ولتـكون مثل: حَسَن.

ويقول العـرب: حَسَنٌ قسَنٌ، وقَسَنٌ أصلها : قَسٌّ، والقَسُّ: تتـبع الشىء وطلبُه، فـكأنه حَسَنٌ مقـسوس؛ أى متبـوع مطلوب، ثـم عُمل بقسّ مـا عُمل ببسّ، فحذفت إحدى السينين وزادت فيه النون، وبنى على مثال: حَسَنُ[1] .

(١) الأمالى للقالى ٢/٢٠٨ - ٢١٨ .

ويُقال : «لبَّيك وسعديك» ، أى إسعادًا لك بعد إسعاد، وقد أُضيف إليها الياء والكاف لتحاذى: لبَّيك، وإذا أُفردت لا تأتى على هذه الصيغة، قال سيبويه: كلام العرب على المساعدة والإسعاد، غير أنَّ هذا الحرف جاء مُثنًّى على سَعْدَيْك ولا فِعْل له على سَعِد[1] . ويُقال : « اللهمَّ سَمْعًا لا بَلْغًا » يُضرب هذا المثل فى الخبر لا يُعجب؛ أى نسمع به ولا يتم، وكلا الكلمتين جاء على غير قياس؛ فالسَّمْع مصدر وُضع موضع المفعول؛ أى: مَسْموع، والبَلْغ مصدر كذلك وُضع موضع الفاعل؛ أى: بالغ، ونُصبت الكلمتان على تقدير: اجعله؛ أى الخبر مسموعًا لا بالغًا، ورُوى المثل بالرفع كذلك : «سَمْعٌ لا بَلْغٌ» على حذف المبتدأ[2] .

ويقولون: هَنِيءٌ مَرِيءٌ، وهو من قولهم: هَنَأَنى الطعام ومَرَأَنى فإذا أفردوا لم يقولوا إلا أمرأنى، ولم يقولوا: مرأنى[3] .

ويُقال تفرَّقت إبله شِذَر بِذَر؛ أى تفرقت فى كل وجه، ويُقال: شَذَر بَذَر، بفتح الشين والباء، وفى حديث عائشة - رضي الله عنها - أن عمر - رضي الله عنه - شَرَّد الشِّرْكَ شَذَرٌ مَذَرٌ - بفتح الشين والميم وكسرهما -، وأصلهما فى اللغة: الشَّذْر، والبَذْر[4] ، ولكن لما كُسرت الشين كُسرت معها الباء، ولما تحركت الذال فى الأولى تحركت فى الثانية.

ومن المحاذاة الصَّرفية عن طريق الإتباع قوله عليه الصلاة والسلام «عَقْرَى حَلْقَى» أى عقرها الله، وأصابها بوجع فى حلقها، قال الأزهرى: وأصله عَقْرًا حَلْقًا، وأصحاب الحديث يقولون: عَقْرَى حَلْقَى بوزن غضبى، حيث هو جارٍ

(١) ديوان الأدب ١/ ١٠٣ باب فَعْل، اللسان ٣/ ٢٠١٢: سعد.

(٢) مجمع الأمثال للميدانى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٤٨٣ .

(٣) الأمالى ٢/ ٢٠٨ وما بعدها .

(٤) ديوان الأدب ١/ ٢٦٤ : فعَل، اللسان ١/ ٢٣٧: بذر، ٤/ ٢٢٢٠ : شذر .

على المؤنث، والمعروف فى اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ تقديره: عقرها الله عَقْرًا وحَلَقَها الله حَلْقًا، وإنما جاء على فَعْلى للمحاذاة[1] .

القسم الثالث : المُحاذاة النحوية

وهى على ثلاثة أنواع: محاذاة فى علامات الإعراب؛ الرفع، والنصب، والجر، على نحو: هذا جُحْرُ ضبٍّ خَربٍ، ومحاذاة عن طريق التقديم والتأخير، على نحو تقديم شبه الجملة على المفعول به فى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء ٦٩] من أجل تحقيق المحاذاة ومراعاة الفاصلة القرآنية، ومحاذاة عن طريق الحذف، على نحو حذف المفعول به فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى﴾ [الليل ٥] ، وقوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى ٣] .

أولاً: المحاذاة فى علامات الإعراب :

ونعنى بها أن الكلمة قد تُكسر أو تُفتح أو تُضم لا حَسَب موقعها الإعرابى من الكلام، وإنما يحدث ذلك تبعًا للكلمة التى قبلها، ليحدث بهما معًا المحاذاة أو الموازاة؛ وعقد لها الثعالبى فصلاً فى كتابه فقه اللغة وسر العربية؛ وسمَّاه: فصل فى الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة، والعرب تفعل ذلك فتقول: هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ، والخرب نعت الجُحْر لا نعت الضب، ولكنَّ الجوار حُمِل عليه، كما قال امرؤ القيس:

كأنَّ ثبيرًا فى عرانين وَبْلِهِ ... كبيرُ أناسٍ فى بجادٍ مُزَمَّلِ

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٢٧٦، اللسان ٤/ ٣٠٣٥ - ٣٠٣٦: عقر .

فالمُزَمَّل نعت للشيخ لا نَعْت للبجاد، وحقه الرفع ولكن خفضه للجوار، ولما قال آخر:

يا ليْت شيخك قدْ غدا متقلِّداً سيفًا ورُمْحَا

والرُّمح لا يُتقلَّد، وإنما قال ذلك لمجاورته السيف، وفى القرآن الكريم: ﴿فأجْمعوا أمرَكم وشركاءَكم﴾، لا يُقال: أجمعتُ الشركاء، وإنما يُقال: جمعتُ شركائى وأجمعت أمرى، وإنما قال ذلك للمجاورة.

وعامة العرب تقول: جاء البردُ والأكسيةُ، بضم الأكسية على أنها معطوفة على البرد، أو بنصبها على أنها مفعول معه؛ والتقدير: جاء البرد مع الأكسية، والأكسية لا تجئ؛ ولكنْ للجوار حقٌّ فى كلام العرب[1] .

ومن المحاذاة النحوية قول الأخطل :

جزى الله عنِّى الأعورَيْن ملامةً وفروةَ ثَفْرَ الثورةِ المتضاجمِ

والمتضاجم من صفة الثَّفْر إلا أنه خفضه على الجوار كما قال امرؤ القيس: كبيرُ أناسٍ فى بجادٍ مُزمَّلِ[2] .

ومن المحاذاة النحوية نقل حركة الإعراب إلى ما قبلها فى الوقف؛ نحو هذا بكُرْ، ومررت ببكِرْ، وفى ذلك يقول ابن جنى: وأجازوا النقل لحركة الإعراب إلى ما قبلها فى الوقف؛ نحو: هذا بكُرْ، ومررت ببكِرْ؛ ألا تراها لما جاورت اللام بكونها فى العين، صارت لذلك كأنها فى اللام لم تفارقها[3] .

ومن مظاهر المحاذاة النحوية قول الحطيئة:

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، للثعالبى، ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) ديوان الأدب ١/١٠٦، باب فَعْل .

(٣) الخصائص، لابن جنى ٣/٢٢٣ .

فإياكـــم وحيَّـــةَ بطـــن واد   هموزِ الناب ليس لكم بسى

فيمن جرّ : (هموز الناب)، وقول العجاج : كأنَّ نسْج العنكبوت المُرْمَلِ

وإنما صوابه المُرْمَلا ، وأما قوله :

كبيرُ أناس فى بجاد مزمَّل

فقد يكون أيضًا على هذا النحو من الجوار[1] . ومن المحاذاة النحوية: ما أنشده أبو زيد:

من أىِّ يومَىَّ من الموت أفِرْ   أيومَ لم يُقْدَرَ أم يـومَ قُـدِرْ

بفتـح الراء فى: يُقْدَرَ، أراد: أيَوْمَ لم يُقْدَرْ أم يـومَ قُدِر، ثم خفف هـمزة «أم» فحذفها وألقى حركتها علـى راء (يقدر) فصار تقديره: أيوم لم يُقْدَرَمْ، ثم أشبـع فتـحة الـراء فصار تـقديـره: أيوم لم يُقْدَرَ امْ، فـحرَّك الألـف لالتـقاء الساكنين، فـانقلبت همزة، فصار تقـديره يُقْدَرَ أم، واختار الفتحة إتبـاعًا لفتحة الراء[2] .

ومن المحاذاة النحوية: قول العـرب: أشْرِقْ ثبيْر، كيما نغيرْ[3] ، أى نُدْفَع للنحر؛ فلما سُكنت كلمة: ثبير، كان لابد من تسكين الفعل المضارع المنصوب: نغير، لكى تحدث المحاذاة بين الكلمـتين : ثبيْر، نُغيْر. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامَ﴾ فقد قرأ حمزة «والأرحامِ» بكسر الميم محاذاة للهاء فى «به»[4] .

(١) الخصائص، لابن جنى ٣/ ٢٢٤، وانظر الكتاب ١/ ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) الخصائص، لابن جنى ٣/ ٩٧، ٢٢٤ .

(٣) ديوان الأدب ١/ ٤٠٤، فعيل، مجمع الأمثال ١/ ٥٠٧.

(٤) السبعة لابن مجاهد ٢٢٦ .

ومن ذلك قول الشاعر:

تَرَاهُ كـأنَّ اللهَ يَجْـدَعُ أنفَـهُ وعَيْنَيْه إنْ مَوْلاَهُ ثابَ لَهُ وَفْرُ[1]

فقد عطف «عـينيه» على «أنفه» لـتحقيق المحاذاة، والقيـاس: يجدع أنفه، ويفقأ عينيه، ومثل ذلك ما أنشده الفرّاء:

عَلَفْتُهـا تبنًا ومـاءً بـاردًا حتَّى شَتَتْ هَمَّالةً عَيْنَاهَا[2]

فقد حاذى بـين كلمتى: تبنًا ومـاءً، وأصلها: علفـتها تبنًا، وسقيـتها ماءً، وقال آخر:

إذا ما الغانياتُ بـرزْنَ يـومًا وَزَجَّجْنَ الحواجبَ والعيونَا

حاذى بين: الحواجب والعيونا فى النصب، فالعيون لا تُزَجَّجُ، وإنما أراد: وزجَّجْنَ الحواجبَ، وكحَّلْنَ العيونا[3] .

وما إتبـاع صفة المنادى للـمنادى فى الإعراب إلا صورة مـن صور المحاذاة النحويـة؛ لأنه من باب جعل الاسم والصـفة فيه بمنزلة اسـم واحد؛ وفى هذا يقول سيبويه: هذا باب ما يكون الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد ينضم فيه قبل الحـرف والمرفوع حرف وينكـسر فيه قبـل الحرف المجرور الذى ينضـم قبل المرفوع، وينـفتح فيه قبل المـنصوب ذلك الحرف، وهو: ابنـم، وامرؤ، ومثل ذلك قـــولــك: يا زيـدَ بنَ عمـرٍو، وقـال الـراجــز: يا حكَمَ بـنَ المُنْذرِ بنِ الجارُودْ. وقال العجّاج: يا عُمَرَ بنَ مَعْمَرٍ لا مُنْتَظَرْ[4] .

(١) تأويل مشكل القرآن ٢١٣، كتاب الصناعتين ١٣٦، اللسان: وفر .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٢١٣، خزانة الأدب ١/ ٤٩٩ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٢١٣، كتاب الصناعتين ١٣٦، اللسان: حجب.

(٤) الكتاب ٢/ ٢٠٣ - ٢٠٤، شرح المفصل ٢/ ٥ .

وقال ابن يعيش فى شرح المفصَّل: لما كثر إجراء (ابن) صفة على ما قبله من الأعلام إذا كان مضافًا إلى علم أو ما يجرى مجرى الأعلام من الكنى والألقاب، فلما كان (ابن) لا ينفك من أن يكون مضافًا إلى أب وأم وكثر استعماله، استجازوا فيه من التخفيف ما لم يستجيزوه مع غيره، فحذفوا ألف الوصل من (ابن) لأنه لا ينوى فصله مما قبله إذ كانت الصفة والموصوف عندهم مضارعة للصلة والموصول من وجوه، وحذفوا تنوين الموصوف أيضًا، كأنهم جعلوا الاسمين اسمًا واحدًا لكثرة الاستعمال، وأتبعوا حركة الاسم الأول حركة الاسم الثانى، لأنك عقدت الصفة والموصوف وجعلتهما اسمًا واحدًا، وصارت المعاملة مع الصفة والموصوف كالصدر له، ولذلك لا يجوز السكوت على الأول[1].

ومن المحاذاة النحوية قول الفرزدق :

ولكِنَّ نِصْفًا لو سَبَبْتُ وسَبَّنى ... بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ من مَنافٍ وهَاشِمِ

فهاشم فى البيت معطوف على : بنو عبد شمس لا على مناف، وإنما كُسِر للجوار[2] .

وما الإبدال فى قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم، صِراطَ الَّذِين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بنصب صراط على أنها بدل من الصراط ما هى إلا صورة من صور المحاذاة النحوية؛ لأنه يجوز فيها الرفع على الابتداء، ولكن المحاذاة جاءت أفضل، ومثله قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ بإتباع «ناصية» الثانية للأولى «الناصية»، ومنهم من قرأ قوله تعالى : ﴿قد كان لكم آية فى فئتين التقتا، فئةٍ تقاتل فى سبيل الله﴾ بجرِّ كلمة «فئة»، وهى قراءة

(١) شرح المفصل ٢/ ٥، الأشباه والنظائر ١/ ١٦ .

(٢) الكتاب ١/ ٧٧، ديوان الفرزدق ٨٤٤ .

مجاهد والحسن البصرى والزهرى وحميد، والجر على وجهين: على الصفة، وعلى البدل[1] ، ومن ذلك قول كُثَيِّر عزة:

وكُنْتُ كذِىْ رِجْلين: رِجْلٍ صحيحةٍ ورِجْلٍ رمى فيها الزمانُ فَشُلَّتِ

فحاذى بين كلمة: رجلين، وكلمتى: رِجْل فى الجر، وكان يمكنه أن يرفع على الابتداء، ولكنه آثر المحاذاة[2] .

ومما ورد مجروراً على الجوار فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان ٢١]، فقد قرأ حمزة والكسائى وخلف العاشر بخفض: خُضْر، وإستبرق على الجوار لكلمة: سندس، ومن توجيهات النحاة لجر كلمة: خضر على أنها نعت لسندس، وأما إستبرق فهى عطف نسق على سندس[3] . ومن مظاهر المحاذاة النحوية فى علامات الإعراب صرف ما لا ينصرف ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ [الإنسان ٤] ، فقد قرأ نافع والكسائى وأبو جعفر وهشام بالتنوين، وذلك للتناسب وتحقيق المحاذاة: سلاسلاً، أغلالاً، سعيراً، وقوله تعالى : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ، قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان ١٥، ١٦]، قرأ نافع وشعبة والكسائى وأبو جعفر بتنوينهما معًا: قواريراً. قواريراً وبذلك تحققت المحاذاة بينهما[4] ، ومن ذلك قراءة عاصم وغيره : ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل ٢٢]، بتنوين كلمة: سبأ لتحاذى ما بعدها: نبأ[5] ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لبلال بن رباح: «أنفقْ بلالاً، ولا

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٣٩٣ . (٢) الكتاب ١/ ٤٣٣ .

(٣) المستنير لمحمد سالم محيسن ٣/ ٢٩٦ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ٦٦٣ - ٦٦٤، المستنير ٣/ ٢٩٣

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٨٠، الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ٢٧٠ .

تخش من ذى العرش إقـلالاً» فقد صرف كلمة: بلالا لتحـاذى كلمة: إقلال، كما استعملها على الأصل: مفعـول به، وليس: منادى مبنى على الضم ؛ لأنه علـم؛ والأصل فى المـنادى أنه فى مـحل نصـب مفعـول به[1] ، من المحـاذاة النحوية فى باب التوكيد قول الشاعر :

يا صَـاحِ بَلِّغْ ذَوِى الزوجـاتِ كلِّهِـمُ

أنْ لَيْسَ وَصْلٌ إذا انحلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ

فقد جرَّ كلمة: كلِّهم، وكان القياس يقـتضى النصب، لسببين: لأن الكلمة توكيد لذوى وليست توكيدًا للزوجات، ولأنـها لو كانت توكيدًا للزوجات لقال: كلـهنّ، وإنمـا الذى حـمله عـلى الجـر هو المحاذاة؛ أى لـكى تحـاذى كلـمة: الزوجات فى الجر[2] . وفى باب الجزم ذهـب الكوفيون إلى أن جـواب الشرط جُزم لمجاورته المجزوم؛ وهو فعل الشرط؛ كـما فى قوله تعالى : ﴿**ومن يفعلْ ذلك يـلق أثامًا يضـاعفْ له العـذاب يوم القيـامة**﴾ ؛ فقـد جُزم: يفعـلْ لاسم الشرط مَنْ، وجُزم: يلق لمجاورته: يفعل، وجُزم الـفعل: يضاعفْ على البدل لمجاورته الفعلين: يفعلْ، يلق، وقد كان أبو على الفارسى ينشد فى مثل ذلك: «قد يؤخذ الجار بجرم الجار»[3] .

ومن المحاذاة النـحوية بسبب الجـوار فى باب التأنيـث قولهـم: «الـشمس طلعـت» فإنه لا يجوز حـذف تاء التأنيـث؛ لأن الفعل جاور الـضمير المسـتتر، وكذلك قـولهم: قامت هـند؛ لا يجوز حذف الـتاء، فلو فصـلت بينهـما جاز حذفها، وما كان ذلك إلا لأجل المجاورة[4] .

---

(١) الأشباه والنظائر ١/ ١٥ .

(٢) اللسان ٣/ ١٨٨٥ : زوج، الأشباه والنظائر ١/ ١٧٨ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/ ١٧٨ - ١٨٠ .

(١) الأشباه والنظائر ١/ ١٨٠ .

ومن الدليل علـى تحقيق المحاذاة مراعاة للقـرب والمجاورة قولهم: خَشَّنْتُ بصـدرِه وصدرِ زيـدٍ، فقـد أجازوا فـى المعـطوف: صـدر وجهـين، الخفـض والنصـب، الخفض على أنه مـعطوف على المجـرور بالباء: بصدره، والـنصب على أنه مفعول به للفعل خشَّن، ولـكنهم اختاروا الخفض هنا؛ لأن الباء أقرب إلى الاسم المعطوف من الفعل؛ فكان الإعـمال للثانى أولى للقرب والمجاورة؛ وفى ذلك يقول ابن يعـيش: اختار البصريون فى باب التنـازع إعمال الثانى لأنه أقرب إلى المعمـول، فرُوعِيَ فيه جانب القرب وحرمة المجـاورة. ومما يدل على رعايتهم جانب القرب والمجاورة أنـهم قالوا: هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ، وماءُ شنٍّ باردٍ، فأتبعوا الأوصاف إعـراب ما قبلها وإن لم يكن المعنى عـليها؛ لأن الضب لا يوصف بـالخراب والشن لا يـوصف بالبرودة، وإنمـا هما من وصـف الحجر والماء[1] .

ثانياً: المحاذاة النحوية عن طريق الحذف:

مثل حذف المفعول بـه فى قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى﴾ [الليل ٥]، فالفعـلان أعطى، واتقى متـعديان يحتاجـان إلى مفعول به، ولـكن حُذف هذا المفعول لتتحقق المحاذاة بين الآيات السابقـة عليها واللاحقة لها، وقوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى ٣] فالفـعل: قلا من الأفـعال المتعـدية ، والقـياس: ومـا قلاك. ولكـن حُذف المفـعول به لـتتـحقق المحـاذاة، وتتـسق الفاصلة. ومن ذلـك حذف مُتعلِّق «أفعل التفضيل» نحـو قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه ٧]، والتقـدير: وأخفى من الـسرِّ وقوله تـعالى : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى ١٧]، والتقدير: خير وأبقى من الدنيا[2] .

---

(١) الكتاب ١/ ٧٤، شرح المفصل ١/ ٧٩، الأشباه والنظائر ١/ ١٧٩ .

(٢) الإتقان ٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩ .

ومن ذلك حذف الفاعل ونيابة المفعول، نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [الليل ١٩]، فالفعل تُجزَى استتر فيه المفعول ؛ الذى ناب عن الفاعل، والتقدير: يَجْزى اللهُ النعمة[١] .

ثالثًا: التقديم والتأخير : تتحقق المحاذاة النحوية عن طريق تقديم المعمول على العامل، كما فى قوله تعالى : ﴿أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ ٤٠]، والتقدير: كانوا يعبدون إياكم، وفى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥]، والتقدير: نعبدك ونستعينك، وفى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [القمر ٤١]، والتقدير: ولقد جاء النُّذُر آل فرعون، ومن ذلك تقديم خبر كان على اسمها، نحو : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ٤]، والتقدير: ولم يكن أحدٌ كفوًا له، ومنه تقديم ما هو متأخر فى الزمان، كما فى قوله تعالى : ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم ٢٥] ، ولولا مراعاة الفواصل والمحاذاة لقُدِّمت كلمة «الأولى» كما فى قوله تعالى : ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص ٧٠]، ومن ذلك تقديم الفاضل على الأفضل، كما فى قوله تعالى : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه ٧٠]، ومن ذلك تقديم الضمير على ما يفسِّره، نحو قوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه ٦٧][٢] ، ومن ذلك تقديم النعت الجملة على النعت المفرد؛ كما فى قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء ١٣]، فكلمة: كتابًا نُعتت أولاً بالجملة الفعلية: يلقاه، ثم نُعتت بالمفرد: منشورًا مراعاة للفاصلة، وتحقيقًا للمحاذاة[٣]. ومن ذلك أيضًا تأخير الوصف غير الأبلغ عن الوصف الأبلغ، كما فى قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وقوله تعالى : ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة[٤] . ومن ذلك تقديم شبه الجملة على

---

(١) الإتقان ٣/ ٣٠١ .

(٢) الإتقان ٣/ ٢٩٦ .

(٣) الإتقان ٣/ ٢٩٧ .

(٤) السابق ٣/ ٣٠١ .

المفعول بـه؛ كما فى قوله تـعالى : ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء ٦٩]، فقد جمع بين المجـرورات: لك، به، علينا، لأن الفاصلة اقـتضت تأخير المفعول به: تبيعًا[١] .

رابعًا: إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث :

من الوسائـل النحوية التى تحـققت بها المحاذاة إتـباع ضمير المذكر لـضمير المؤنـث فى قوله عـليه الصـلاة والسلام : « الـلهم رَبَّ السـموات السبـع وما أظلـلْن، وربَّ الأرضين وما أقلـلن، وربَّ الشـياطين ومـا أضللْنَ» والقـياس يقتضى: وما أضـلّوا بضمير الذكور، لأن الشياطين من مـذكر مَنْ يعقل، وإنما أتت بنون النـسوة إتباعًا لكلمتى: أظلـلن، أقللن[٢]، وكذا ما جاء فـى حديث المواقيت: «أنَّ النبى ﷺ وقَّت لأهل المدينة ذَا الحُلَيْفة ولأهل الشأم الجُحْفة، ولأهل نجـد قَرْن المنازل، ولأهل الـيمن يَلَمْلَم هُنَّ لَهُنَّ ولِمَنْ أتـى عليهـن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة »، والقياس: هـنَّ لهم؛ أى لأهـل ذى الحُلَيفة وما ذُكِرَ معها، وإنما قيل لهن إتباعًا لقوله: هنَّ[٣].

(١) الإتقان ٣/ ٣٠١ .

(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٥ .

(٣) صحيح البخارى حديث رقم ١٥٢٤، الأشباه والنظائر ١/ ١٥ .

مصادر ومراجع الفصل الأول

١ - ابن أبى الإصبع المصرى: - بديع القرآن، تحقيق د. حفنى محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧ .

- تحرير التحبير، تحقيق د. حفنى محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥ .

٢ - ابن الجزرى : تقريب النشر فى القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢ م .

٣ - ابن السكِّيت: إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م .

٤ - ابن جنِّى : - الخصائص، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م .

- المحتسب، تحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤ م .

- المنصف، تحقيق محمود مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابى الحلبى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤ م.

٥ - ابن خالويه: - الحجة فى القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧ م .

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مكتبة المتنبى، القاهرة، د.ت.

٦ - ابن دريد : جمهرة اللغة، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٥ هـ.

٧ - ابن سيده : - المخصص، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، د.ت .

٨ - ابن فارس: - الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة دار المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

- الإتباع والمزاوجة، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٥٨ م .

٩ - ابن قتيبة : - تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٣ م.

- أدب الكاتب، تحقيق على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م .

١٠ - ابن مجاهد: - كتاب السبعة فى القراءات، تحقيق د. شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ .

١١ - ابن مكى الصقلى : - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥ م.

١٢ - ابن منظور: - لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٣ - ابن هشام الأنصارى : - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م .

١٤ - ابن يعيش : - شرح المفصل، مكتبة المتنبى، القاهرة، د.ت .

١٥ - أبو البقاء الكفوى : - الكليات، تحقيق محمد المصرى وعدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م .

١٦ - أبو جعفر الرعينى : - تحفة الأقران فيما قُرئ بالتثليث من القرآن، تحقيق على حسين البواب، دار المنارة، جدّة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م .

١٧ - أبو حيان الأندلسى : - البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م .

١٨ - أبو الطيب اللغوى: الإتباع، تحقيق عز الدين التنوخى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١ م .

١٩ - أبو على الفارسى : - الحجة فى علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى، ومراجعة محمد على النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣ م .

٢٠ - أبو على القالى : - الأمالى، والذيل عليها، والتنبيه للبكرى، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م .

٢١ - أبو هلال العسكرى : - كتاب الصناعتين، تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٢ م .

٢٢ - البخارى : - الجامع الصحيح، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الحرم للتراث، القاهرة، ٢٠٠٠ م .

٢٣ - الثعالبى : - فقه اللغة وسر العربية، تحقيق سليمان سليم البواب، دار الحكمة، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٩ م .

٢٤ - الجوهرى : - تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤ م .

٢٥ - الدمياطى البنّاء : - إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م .

٢٦ - رضى الدين الأستراباذى : - شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٧٥ م .

٢٧ - الزَّبيدى : - تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر مصورة عن المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٧ هـ.

٢٨ - الزمخشرى : - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث؛ الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ م .

- أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م.

٢٩ - سيبويه : - الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ م .

٣٠ - السيوطى : - الأشباه والنظائر فى النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت .

- الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م .

٣١ - الشنقيطى : - الدرر اللوامع على همع الهوامع، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م .

٣٢ - عبد القادر البغدادى : - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة الأميرية، ١٢٩٩ هـ .

٣٣ - الفارابى - ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، ومراجعة إبراهيم أنيس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤ م .

٣٤ - الميدانى : - مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعه السعادة، القاهرة، ١٩٥٩ م .

الفصل الثانى

الجمل المتوازية عند طه حسين

دراسة فى « أحلام شهر زاد »

الفصل الثانى

الجمل المتوازية عند طه حسين

دراسة فى « أحلام شهر زاد »

« إنما الكلام عبء أتخفف منه
بالإلقاء أو الإملاء » [1]

طه حسين

تقـــديم :

من العبارات الدالة على الممارسة اللغـوية عند طه حسين تلك الجملة التى تتصدر هذا الفصل ، ولكل كلمة من هذه الجملة دلالة ؛ فكلمة : الكلام تدل على أن كل ما بين أيدينا من مؤلفات طه حـسين هو فى حقيقته كلامه ، وليس كتابته ؛ فلقـد كان يمارس الكلام لا الكتابة ؛ وكان الكلام هو وسـيلته الفريدة للوصـول إلى المتلقى . وأمـا كلمة : عبء فتـدل على أن طه حسين لـم يكن يتكلم لمجرد الكلام الذى يملأ به فراغ الصمت فحسب ، وإنما يتكلم عندما يملأ الفكر أقطار نفسه وجوانبها ، وعندئذ يصبح التخفف من هذا العبء ضرورة لا

(١) من حديث الشعر والنثر ص ٣ .

مفـر منها ، ويـصبح الكـلام ضربًا من إفـراغ الزائد عن طـاقة النفـس . وأما كلمتا: الإلقاء والإملاء فتدلان على أن الوسيـلتين اللتين توسَّل بهما طه حسين للوصـول إلى المتلقى هـما : إلقاء الكـلام فى شكل خطب ومـحاضرات ، أو إملاؤه فى شكل كتب ومقالات وقصص وغيرها .

لم يكن الكلام عند طه حسين مجرد أداة يلـجأ إليها لتوصيل معلومة ما أو فكرة ما ، وإنما هو كلام له خصوصيته التى تتطلب من متلقيه أن يتوقف عنده، فهو إلى جانب هدفه الـتوصيلى له قيمته الجمالية التـى تمايزه عن غيره . وهناك حقيقة لغوية مفادها أن كل متكلم بلغة مـن اللغات تتكون لديه من تعلمه للغته ومن ممارسته لها عادات أو نـظم عقلية خاصة فيما يتعلـق بتأليف الجمل ، وإنه ليـألف هذه العـادات والنظـم كما يألـف نطق أصوات لـغته ونمـاذج مقاطعـها وكلماتها ، وتصدر عنه نماذج تأليف الكلمات فى جمل بطريقة لا شعورية[1] .

ولقد كان لطه حسـين عادات كلامية تعودها ؛ كانت بمثابـة الرصيد المختزن فى الذاكرة ، الذى يئول إليه عند ممارسته الكلام ، ولم يكن فى استعماله للغة يتعامل معها بوصفها مفردات مستقلـة ، بقدر ما كان يتعامل معها بوصفها صيغًا وتراكيب استقرت فى عقله ، وصار من السهل عليه استحضارها متى شاء .

وهدف هذه الـدراسة هو استجـلاء خصوصية هـامة من خصوصـيات طه حسين الكلامـية ؛ وهى « الجمل المتوازية » فى أهـم رواية من رواياته[1] تحقق فيها ما لايقل عـن تسعين بالمائة من هذه الخصوصية ؛ كـما تهدف هذه الدراسة أيضًا إلى البحث عن جذور هذه الخصوصيـة فى التراث وبيان أى المنابع استقى

(١) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، د. محمود السعران ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) صدرت رواية « أحلام شهرزاد » فـى يناير عام ١٩٤٣ م عن دار المعارف ، ضمن سـلسلة « اقرأ » ، وكانت هذه الرواية هى العدد الأول الذى افتتحت به السلسلة إصداراتها .

منه طه حسين هـذه الخصوصية ؛ وإظهار إلى أى مدى حققـت الجمل المتوازية له ما كان يرجوه منهـا من خدمة الفكر والشعور ؛ وتوصيلهـما إلى المتلقى فى أجلى صورة وأقصر وقت .

والمقصود بـالجمل المتوازية فى هذا الـبحث هى الجمل التـى يقوم الأديب بتقطيعـها تقطيعًا متساويًا ، بحـيث تتفق فى البناء النـحوى اتفاقًا تامًا ، وسواء اتفقـت هذه الجمل فى الـدلالة أم لم تتـفق فالمهم هـو تطابقهـا التام فى الـبناء النحوى على نمط قول طه حسين : ولم تصعد من صدر آمنة زفرة

ولا انحدرت من عين آمنة عبرة [1] .

فهاتان الجملتان متوازيتان لاتفاقهما فى البناء النحوى المكون من :

نفى + فعل + جار ومجرور + مضاف إليه + فاعل .

وللجمل المتوازية تاريخها فى التراث العربى وإن لم يعطها النحاة واللغويون مكانتهـا اللائقة ؛ فنحن نجدها فـى القرآن الكريم فى نماذج عديدة نـسوق منها الآتى :

- وأنه هو أضحك وأبكى .

  وأنه هو أمات وأحيا .

- ووجدك ضالاً فهدى .

  ووجدك عائلاً فأغنى .

- فأما اليتيم فلا تقهر .

  وأما السائل فلا تنهر .

(١) على هامش السيرة ١/ ٥٤ .

- والليل إذا يغشى .
  والنهار إذا تجلَّى .
- فليضحكوا قليلاً .
  وليبكوا كثيراً .
- الذى خلق فسوَّى .
  والذى قدَّر فهدى .

وإذا طالت الجملة فى النص القرآنى فإن السمة الغالبة عليها هو التوازى ؛ كما فى قوله تعالى :

- فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى .
  وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى .

ولو ذهبنا نحصى التوازى بين الجمل فى القرآن الكريم لصعب حصره لكثرته كثرة تحتاج إلى دراسة خاصة .

ولم يقتصر الأمر على القرآن الكريم كتاب العربية الأول ، بل نلاحظ استمرار هذا النمط عند مؤلفين مثل الجاحظ وأبى حيان ؛ فمثلاً يقول الجاحظ فى البخلاء :

- وللضحك موضع وله مقدار .
  وللمزج موضع وله مقدار .
- وقد ضحك النبى ومزح .
  وضحك الصالحون ومزحوا .

ويقول فى كتاب الحيوان :

- ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ

ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء

- فالسخيف للسخيف

والخفيف للخفيف

والجزل للجزل

- والإفصاح فى موضع الإفصاح

والكناية فى موضع الكناية

والاسترسال فى موضع الاسترسال(١)

والتوازى بين الجمل عند الجاحظ سمة من سماته الأسلوبية ؛ وهى متناثرة فى كتبه بكثرة .

وهناك علم آخر من أعلام العربية اتضحت عنده هذه الظاهرة فى مؤلفاته وهو أبو حيان التوحيدى ؛ فهو يقول مثلاً :

- إننا نقول ما نقول عن وعى وحصر .

ونتطاول ما نتطاول عن قماءة وقصر (٢) .

- فإن خبرت عن الاسم بالاصطلاح كان ضلالاً منك .

وإن خبرت عن المعنى بالمعقول كان وبالاً عليك (٣) .

- وإن كان بليغًا ، ويتبلد .

وإن كان متحفظًا ، ويغيب .

وإن كان حاضراً ، ويعجز .

---

(١) الحيوان ٣/ ٣٩ .

(٢) الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) السابق ص ٧٠ .

وإن كان قــادرًا ، ويحار .

وإن كان ناظــرًا ، ويكلّ [١] .

- مـن رام الخبـــر عنـــه تاه

ومن حدَّث نفسه بالظفر شاه [٢] .

وجدير بــالذكر أن هذه الـظاهرة عرفـت فى التراث الـبلاغى بما يـسمًّى فى الشعر حسن التقسيم ، وبما يـسمى فى النثر الازدواج ، فإن حدث التوازى بين الجمل على مستوى الشعر سُمِّى ذلك حسن تقسيم ؛ كما فى قول شوقى :

الدين يسر ؛ والخــلافة بيعـة   والأمر شورى والحقوق قضاء

أما إن حــدث هذا الـتوازى بين الجــمل عــلى مـستوى الـنثـر سُمِّى ذلك ازدواجًا؛ كما فى قول قس بن ساعدة الإيادى :

- ليل داج ، ونهار ساج .

- إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا .

وهناك من اصطـلح لهذا التوازى مصطـلحًا هو المماثلة ، ومثَّل لــه بقوله تعالى : وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم .

ومثَّل له بقول البحترى يمدح الفتح بن خاقان فى مبارزته للأسد .

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعًا   وأقدم لما لم يجد عنك مهربــا [٣]

أما فى مـستويات الـعربية الـفصحى فى الـعصر الحديـث فيتضـح تفاوت استخـدام الجمل المتوازية ؛ ولـكن هذا البحـث يقتصر عــلى تناولها فــى عمل

(١) الإشارات الإلهية ، ص ٢٨٤ .

(٢) السابق ٧٥ .

(٣) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغى ، ص ٣٦٤ .

واحد من أعمال طه حسين ؛ وهو روايــة : أحلام شهر زاد ؛ يقوم برصد هذه الظاهرة ويبين أسبابــها ويستخلص نتائجها ؛ ثم يقوم باســتخراج الجمل المتوازية من هذه الرواية ، يصنفها فى عدة أنماط نحوية ، ويبين أكثر هذه الأنماط شيوعًا فى الرواية ؛ ثم يوضح العلاقة بين الجمل المتوازية وكل من : البناء النحوى ، والدلالة ، والإطناب ، والتضاد الدلالى والـتجنيس ، وأدوات الربط ؛ وأعنى بأدوات الربط حـروف العطف ؛ وحروف الجر . ثم يـرصد البحث فى الـنهاية أهم النتائج التى توصَّل إليها .

أولاً : أنماط الجمل المتوازية :

يمكننا أن نقسم الجمل المتوازية التى وردت فى « أحلام شهر زاد » إلى عدة أنماط نحوية ، ومن خلالها نجرى الدراسة ؛ وهذه الأنماط هى :

١ - أنماط الجمل الفعلية المثبتة .

٢ - أنماط الجمل الفعلية المنفية .

٣ - أنماط الجمل الاسمية المثبتة .

٤ - أنماط الجمل المنسوخة .

٥ - أنماط الجمل الشرطية والاستفهامية والتعجبية .

٦ - أنماط أجزاء الجمل .

١ - أنماط الجمل الفعلية المثبتة :

جاءت الجمل الفعلية المثبتة والمتوازية عند طه حسين فى قصته هذه فى تسعة أنماط هى :

أ - النمط الأول : فعل + فاعل :

- ثم يجمد كل شىء
  ويخمد كل شىء { أحلام شهر زاد ١٠٧ }
- انعقد لسان شهريار
  وانعقد لسان شهر زاد { أحلام شهر زاد ١٠١ }
- تهبط ثم تهبط
  وتضيق ثم تضيق { أحلام شهر زاد ٩٦ }
- فانعقدت الألسنة
  وانحنت الرؤوس { أحلام شهر زاد ٣٥ }
- ينظرون وكأنهم لايرون
  ويصغون وكأنهم لايسمعون { أحلام شهر زاد ٩٣ }

ومن الملاحظ على هذا النمط أنه قليل الاستعمال عند طه حسين بالقياس إلى غيره من الأنماط الأخرى ، لأنه أقل الجمل البسيطة تركيبًا ؛ وأقلها أداء للمعنى ، ولذا نجده غالبًا ما يستعمل هذا النمط معطوفًا عليه بجملة أخرى ، تكون أقدر فى التعبير عما يريده ؛ أو يستعمل بعد الفاعل تمييزًا ملحوظا .

- لقد انعقد لسان شهريار ، لأنه أحس وعجز عن تصوير حسه
  وانعقد لسان شهرزاد ، لأنها شعرت وعجزت عن تصوير شعورها

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

- وامتلأ قلبه سكينة

وآنست نفسه أمنا ودعة { أحلام شهر زاد ١٣ }

ب - النمط الثانى : فعل + فاعل + شبه جملة

- تصل إلــى نفــوس الرقــود أحيانًا

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا أخرى

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- قد زهدت فى ملوك الجن جميعًا

واستيأست من حياة الجن جميعًا

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها الأولى

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

- تبـدأ فـى موعـد موقـوت

وتنتهى عند أجل محدود

{ أحلام شهر زاد ٤٠ }

- قد وصلت إلى دخيلة نفسه

ووقفـت علـى جليـة أمره

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

- يستعـــدون لكـــل حـادثة

ويتأهبـــون لكـــل كـارثة

{ أحلام شهر زاد ٩٠ }

- يتســـع مـــن ضيـــق

وينفـــرج مـــن تقـــارب

{ أحلام شهر زاد ١٠٦ }

- شقـــى فيـــه وســـعد

ونعـــم فيـــه وابتـــأس

{ أحلام شهر زاد ١٣٢ }[1]

ونلاحظ على هـذا النمط من الجمل المتـوازية أن الفاعل فيها غـالبًا ضمير مستتر ؛ كما نلاحظ أن شبه الجملة الذى يأتى بعد الفاعل يغلب عليه أن يكون حرف جر واسمًا مـجرورًا بهذا الحرف ، كما يغـلب أن يكون بعد شبـه الجملة بعض المكملات الأخرى التى يتمم بها طه حسين المعنى ، فنجده يتمم فى المثال الأول بالظـرف : أحيانًا ، وفى المثال الـثانى بالتوكـيد : جميعًا ، وفى المـثالين الثالث والرابع يتمم بالنعـت : الأولى ، موقوت ، محدود ، وقد يتمم بمضاف إليه كما فى المثالين : الخامس والسادس ، وقد يـعطف على هذه الجملة بجملة أخرى تتوازى مع ما بعدها فى البناء النحوى كما فى المثال الأخير .

وهناك ملاحظة هامة على هذا النمط وهى أنه يستعمل كاف التشبيه المتصلة « بما » الموصولة ثم ينسق جملة الصلة أيضًا تنسيقًا متوازيًا ؛ كما فى قوله :

(١) انظر بقية هذا النمط فى الصفحات الآتية ٣٢ ، ٦٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

- يشعـــرون كمـــا نشـــعر

ويحســـون كمـــا نحسّ

{ أحلام شهر زاد ٦٥ }

- فيأشـر عـدوك كما أشـرت

ويبطر خصمك كما بطرت

{ أحلام شهر زاد ١٣٦ }

- لتستمتع باليقظة كما استمتعـت بالنـوم

ولتنعم بالشعور كما نعمت باللاشعور

{ أحلام شهر زاد ٩٩ }

وهذا النمط يكثـر إلى حد ما عند طه حسين ، لأن مجئ شبـه الجملة بعد الفعل والفاعل يتـيح له التنويع فيها والعطف عليهـا ؛ وهذا من شأنه أن يحقق له التوازن الموسيقى إلى جانب وضوح المعنى .

جـ - النمط الثالث : فعل + فاعل + مفعول به

- فمـــدّ بصـــره

ومـــدّ سمعـــه

{ أحلام شهر زاد ١٤ }

- قد قـــرأت كتب الأولين

وعرفت حكمـة المحدثين

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- يحبـــــون الخـــير
ويكرهـــون الشــــر

{ أحلام شهر زاد ٦٥ }

وهذا النمـط قليل الورود عند طه حـسين ، ربما لأنه يرى فيه نمطًا تـقليديًا وضعه النحاة لبـناء الجملة الفعلية ؛ ولا يعبر عـن فكره وشعوره ؛ وخاصة إذا كانت الفكرة كلية والمعنى ممتدًا .

د - النمط الرابع : فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة

- يمـد يـــده عـــن يمـين
ويمد يـــده عـــن شمال

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- وضمَّ يـديه إلى صـدره
ودعا النوم إلى نفســه

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- ومد بصره فى الظلمــة المتكاثفة
ومد سمعه فى الصمت المنعقـد

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فملأ صدره من نسيم الليل
وملأ عينيه من ظلمة الليل

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

- ستعرّض شبابهم للموت
وستعرض أطفالهم لليتم
وستعرض أموالهم للفناء
وستعرض شيوخهم للبؤس والثكل
وستعرض نساءهم للتأيم والشقاء

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- تأتى ما تأتى من الأمر
وتحدث ما تحدث من الهول

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لايستطيع تحريكها إلى التفكير
وأحس جسمه ثقيلاً عليه لايستطيع دفعه إلى النشاط

{ أحلام شهر زاد ٩٨ }

ومن الملاحظ أن هذا النمط يأتى عند طه حسين بكثرة ؛ بل هو أكثر الأنماط النحوية استعمالاً عنده لأنه يتيح له تحقيق الإيقاع الموسيقى فى يسر وسهولة ؛ كما أن شبه الجملة بعد المفعول به يتيح له أن ينوع فيها بما يحقق له التوازى بين الجمل ؛ فقد يكمل بعد المفعول به بجار ومجرور - كما فى النماذج السابقة - كما قد يكمل بحال أو بنعت كما فى قوله :

قضى بقية ليله سائرًا حائرًا
وكان خليقًا أن يقضيها هادئًا راضيًا

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

وقد يكمل بنعت كما فى قوله : يتبـع هـواه الجامـح

ويركب شهوته المندفعة

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

وقد يكمل بجملة صلة كما فى قوله :

- فاذرف ما تستطيع أن تذرف من دموع

واحمل ما تستطيع أن تحمل من حزن

واعمل ما تستطيع أن تعمل مـن خير

وتجرَّع ما تستطيع أن تتجرع مـن ندم

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

وقد يكمل بجملة معطوفة كما فى قوله :

- ندعوهـــا فتجيـــب

ونأمـــرهـا فتطيـــع

{ أحلام شهر زاد ٦٤ }

وقد يكمل بظرف يتبعه جملة كما فى قوله :

- فعرف الحب حين يبلغ أشد أطواره عنفا

وعرف الحب حين يبلغ أعظم أطواره رقة وليِّنًا ولطفًا

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

وقد لايكتفـى بمكمل واحد بل يتعداه إلـى أكثر من مكمل حتى يـتحقق له التوازن الموسيقى الذى ينشده بين الجمل ، كما فى قوله :

- فملأ صدره من نسيم الليل بما يحمـــل مـــن عطر رطـــب لذيـــذ
وملأ عينيـه من ظلمة الليل بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

قد يلجأ طه حسين إلى استعمال الجملة المركبة فتطول منه عند ذلك يحرص أشد الحرص على إحداث التوازن الموسيقى ، لأنه يشعر أن طول الجملة يجعلها تفقـد معناها لدى المـتلقى ، ولا سبيـل إلى استحضـار معناها إلا بهـذا الإيقاع الموسيقى ؛ الذى يحقق -إلى جانب الجرس الجميل- وضوح المعنى وظهوره .

هـ - النمط الخامس : فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثان

- وقاسمتـك ما أتيـح لك مـــن نعيـــم
وشاطرتك ما قُضى عليك من بؤس

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- يرونـــه قصـــيرًا
وأراه طـــــويلاً

{ أحلام شهر زاد ٣١ }

نلاحظ فى النـموذج الثانى أن طه حسين مـتأثر فيه بالقرآن الـكريم ؛ فقد استقـى المعنى من قولـه تعالى : ﴿ إنهم يـرون بعيدًا ونراه قريـبًا ﴾ ثم أحدث التوازن بين الجملتين على نسق القرآن الكريم .

وهذا النمط من الأنماط التى استعملهـا بقلة ، لأن الأفعال المتعدية لمفعولين فى العربية قليلة ، كما أنها تفرض عليه نسقًا قد يجد فيه قيودًا ، أو لأن الجملة

تطـول وتتداخل ، وهـذا يحتاج مـنه إلى أن يـجهد نفـسه فى إحداث الإيـقاع الموسيقى والتوازن .

و - النمط السادس : شبه جملة + فعل + فاعل

- ومن هذا الباب قد دخلـت الوصائف آنفـا

ومن هذه الجدران قد نبعت أنغام الموسيقى

{ أحلام شهر زاد ٨٢ }

فى هذا النمط لم يراع طه حسين الرتبة الـتى وضعها النحاة ؛ فشبه الجملة عنده تقدَّم عـلى الفعل والفاعل ، وكـان حقه أن يتأخر عنهـما ؛ ورغم خروج هذا النمط على مـألوف النحاة فإن طه حسين لم يستعمـل منه فى « أحلام شهر زاد » إلا هذا النموذج .

ز - النمط السابع : فعل + شبه جملة + فاعل + مفعول به

- تنـــدى له الجبـــاه

ويتصبب له العـــرق

{ أحلام شهر زاد ١٠٧ }

- وقد ثاب إليه حزمه وعزمه

وعـــاد إليه حـدّه وجِدّه

{ أحلام شهر زاد ٨٧ }

- يختلط فيه هـــذا كله
ويشتبه فيه هـــذا كله

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

- قـد ثاب إليـه الأمـن
وعادت إليها الطمأنينـة

{ أحلام شهر زاد ١١٩ }

- وقد جاشت فى نفسه عواطفـه الثائـرة
واضطربت فى رأسه خواطره الحمراء

{ أحلام شهر زاد ٣٨ }

- فثاب إلى قلبـه المذعور شىء من أمن
وثاب إلى نفسه اليائسة شىء من رجاء

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

ومن الملاحظ أن طه حسين استعمل هذا النـمط كثيرًا ، وتقديمه هـنا شبه الجملة علـى الفاعل مخالف أيضًا لما قرره الـنحاة ، ولكنه بتقديمه شـبه الجملة تتاح له الفـرصة ليحدث التوازن المعـتاد بين الجمل ؛ فالفاعـل الذى جاء به فى نهاية الجملة قـد يعطف عليه - كما فى المثال الثانـى - ، وقد يؤكده - كما فى المثال الثالث ، وقد يصفه - كما فى المثال الخامس - ، وقد يأتى به نكرة ويتبعه بجار ومجرور لتزداد مساحة الجملتين المتوازيتين - كما فى المثال الأخير - .

ح - النمط الثامن : فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به

- يثيـــر فى نفســك القلـــق
ويبعث فى قلبـــك الخـــوف

{ أحلام شهر زاد ٣٠ }

- اقترفـــت من الإثــم مثل ما اقترفــوا
  واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا

{ أحلام شهر زاد ١٤٠ }

- أصـف لك ما لايوصف
  وأصور لك ما لا سـبيل إلى تصويره

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

- فتبعث من أفواههـا أصواتًا قصيرة حلوة
  وتبعث فى أجنحتها خفقات يسيره ....

{ أحلام شهر زاد ١٣ }

- وقد قدرت له أحــلام صاحبته تقديرًا
  وقطّـــرت له أحاديثها تقطيرا

{ أحلام شهر زاد ٤٠ }

ونلاحظ أن هذا الـنمط استعمــله طه حسين كثـيرًا ، لأنه وجد فيه بـغيته لتحقيق التوازن الموسيقى المنشود ، كما أن بناء الجملة فيه بناء غير مألوف يلفت انتباه المتلقى ، وهذا ما كان يحرص عليه طه حسين أشد الحرص ، لأنه لايملك أن يشيـر للمتـلقى بيـده أو يهز رأسه أو يأتـى من الحركات الـتى تساعـد على توصيل الفكرة لدى المتلقى ؛ فهو لايملك إلا رنين الكلمة ووقعها فى النفس .

ط - النمط التاسع : فعل + مفعول به + فاعل + شبه جملة

- قد صرفته الحياة عن الأحياء
  وصرفته الطبيعة عن الناس والأشياء

{ أحلام شهر زاد ٤٣ }

- تصرفه فى فنون الهزل والجـد
وتنقله فى أطوار المرح والهدوء

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

- يمسهـا جناح مـن لين
أو يصيبها عارض من شدة

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- فضمـته فـى رشـاقة
وقبلتـه فـى عنـف

{ أحلام شهر زاد ٦٧ }

- تخفيه صروف الحياة وخطوبها
وتظهره محـن الحياة وتجـاربها

{ أحلام شهر زاد ١١٢ }

خـذها بحقهـا
وابلغها من طريقها

{ أحلام شهر زاد ٧٦ }

- دون أن يصيب المدينة منها شر
أو ينال أهل المدينة منها مكروه

{ أحلام شهر زاد ٩٤ }

- لقـد أنزلـك إلى حيـث أنا
أو رفعنى إلـى حيـث أنـت

{ أحلام شهر زاد ١٠٢ }

ونلاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط بكثرة ، لسببين هما : أنه نمط غير تقليدى فيه مخالفة لما قرره النحاة ؛ وهذا يلفت الانتباه ويثير الذهن ، كما أنه ينتهى « بالفاعل » الذى يتيح لطه حسين أن يأتى بمكملات بعده تحقق له التوازى بين الجمل ، كأن يأتى بجار ومجرور كما فى السابق ، وقد يأتى بظرف بعده جملة ليوسع من حيز التوازى بين الجملتين، كما فى قوله :

- إنا ندفعها إلى الموت حين نحارب
ونندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

وقد يعدد من المكملات بحيث يمكن أن نرى فى الجملة الواحدة ثلاثة أحرف للجر ؛ كما فى قوله :

- سحرته عن نفسه وعما حوله بسيرتها
كما كانت تسحره عن نفسه وعما حوله بقصصها

{ أحلام شهر زاد ٧١ }

٢ - أنماط الجمل الفعلية المنفية :

وردت الجمل الفعلية المنفية والمتوازية عند طه حسين فى روايته « أحلام شهر زاد » فى سبعة أنماط نحوية ؛ هى :

أ - النمط الأول : نفى + فعل + فاعل + شبه جملة

- فلا يقع بصره على شىء
ولاينتهى سمعه إلى شىء
ولا تصل نفسه إلى شىء

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- لايلوى على شىء
ولا يفكر فى شىء
ولا يقف عند شىء

{ أحلام شهر زاد ٤٢ }

- لاينعمـــون حين ننعـــم
ولا يبتئسون حين نبتئس

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

ونلاحظ أن طـه حسين لم يستـعمل هذا النمـط بكثرة ؛ ولم يرد مـنه فى أحلام شهر زاد سوى هذه النماذج الثلاثة .

ب - النمط الثانى : نفى + فعل + فاعل + مفعول به

- لم يـــــر شيئـًا
ولم يســمع شيئـًا
ولم ينكـــر شيئـًا

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- لايقـــــول شيئـًا
ولا يأتـــــى حركة

{ أحلام شهر زاد ٥٦ }

- لا تصيـــب أحدًا بما يحب
ولا تصيب أحدًا بما يكره

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- فلن تغسل قطرة من تلك الدمـــاء التى سفكتها
ولن تُرضى نفسًا من هذه النفوس التى أزهقتـها
ولن تمحو سيئـة من هذه السيئات التى اقترفتهـا

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- لايشبـه النهار كما عــرفه
ولايشبه الليل كما ألفـــه

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

ومن الملاحظ أن هذا النــمط كثير إلى حد ما عند طه حـسين وهو يتأرجح بين القصد والطول ، وفى الحالتين التوازى واضــح فيهما ؛ والبناء النحوى بين كل جملتين أو ثلاث محدد .

جـ - النمط الثالث : نفى + فعــل + فاعل + مفعول به + استثناء + جملة فعلية

- لايرى شيئًا إلا اجتهد فى أن يعرف مصدره وغايته
ولايسمح شيئًا إلا جد فى أن يفهم ظاهره وتأويله

{ أحلام شهر زاد ٣٦ }

- لا تدنيــــــه إلا لتقصيه
ولا تلطف به إلا لتعنف عليه

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

ونلاحظ أنه لم يرد مــن هذا النمط فى الرواية سوى هذيــن النموذجين ؛

ويبدو أن طه حسين وجد فى أساليب القصر الأخرى بغيته ؛ ولذا فلم يكثر من استعماله .

د - النمط الرابع : نفى + فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثانٍ

- لم تمنح واحدًا منهم ابتسامة
ولم تهد إلى واحد منهم نظرة

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

هذا النمط أكد حرص طه حسين على سلامة اللغة أكثر من حرصه على تحقيق التوازى بين الجمل ، فقد كان بإمكانه أن يجعل الجملة الثانية : ولم تهد واحدًا منهم نظرة ، ليحقق بها التوازى التام مع الجملة الأولى ، ولكنه هنا آثر سلامة البناء النحوى ؛ فالفعل أهدي لايتعدى بنفسه إلى مفعولين كالفعل «منح» فى الجملة الأولى .

ولم يرد من هذا النمط عنده سوى هذا النموذج .

هـ - النمط الخامس : نفى + فعل + فاعل + جار ومجرور + مفعول به .

- فلن أعصى لك أمرًا
ولن أرد عليك قولاً

{ أحلام شهر زاد ٣٠ }

- لم تقص عليه شيئًا
ولم تتحدث إليه بشىء

{ أحلام شهر زاد ١٢٥ }

- فلم ينكـــر فـــى الغـــرفـة شيئـــًا
ولـم ير فيها شيئًا خليقًا بالالتفات

{ أحلام شهر زاد ٧٥ }

- لا أحـــب منهم أحـــدًا
ولا أبغض منهم أحـــدًا
ولن أتزوج منهم أحـــدًا

{ أحلام شهر زاد ٦٢ }

ونلاحظ على هذا النمط ما يأتى : المـثال الأول تأثر فيه طه حسين بالقرآن الكـــريم ؛ فـى قوله تعالـى : ﴿ ستجدنى إن شاء الله صابـرًا ولا أعصى لك أمرًا ﴾ ، والمـثال الثانـى أكد براعـة طه حسين فـى استعـمال الأفعال الـلازمة والمتعـدية ؛ ومعرفة الـفعل المتعـدى بنفسه ، والمـتعدى بحرف الجـر ، والمثال الثالث أكد تخلـى طه حسين عن التوازى التام بين الجمل ؛ مـتذكرًا أنه لايقول شعرًا يقتضى حسن التقسيم ؛ ولا يقـول نثرًا يقتضى المماثلة بين الجمل ؛ وإنما هو كلام مستـرسل لا يستلزم التوازى التـام ؛ ولذا زادت الجملة الثانيـة كلمتين عن الأولى : خليقًا بالالتفات .

و - النمط السادس : نفى + فعل + مفعول به + ظرف + فاعل + جار ومجرور

- لـم يعرفه قبل اليوم أحد من الجـن
ولـم يعرفه قبل اليوم أحد من الناس

{ أحلام شهر زاد ٩٨ }

لم يرد من هذا النمط سوى هذا النموذج ، الأمر الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله كثيرًا .

ز - النمط السابع : نفى + فعل مبنى للمجهول + نائب فاعل + جار ومجرور

- لا تُحسب بالساعات والأيام

ولا تُحسب بالشهور والأعوام

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

لم يستعمل طه حسين من هذا النمط سوى هذا النموذج ، ونلاحظ على هذا النموذج أن فيه نوعين من الجرس الموسيقى : التوازى بين الجملتين ؛ إلى جانب السجع كما فى : الأيام ، والأعوام .

وقد يتقدم شبه الجملة (الجار والمجرور) على نائب الفاعل وتصير الجملة فى هذه الحالة مكونة من : نفى + فعل مبنى للمجهول + جار ومجرور + نائب فاعل، مثل هذا النموذج :

- لا يُنقع له غُلَّة

ولا يُشفى له صدى

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

والغريب أن النمط التقليدى الذى وضعه النحاة ؛ وهو : نفى + فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة ، لم يستعمله طه حسين مطلقًا فى روايته ، وإنما شبه الجملة عنده يتقدم نائب الفاعل ، أو المفعول به .

٣ - أنماط الجمل الاسمية المثبتة :

وردت الجمل الاسمية المثبتة والمتوازية عند طه حسين فى روايته فى سبعة أنماط نحوية هى :

أ - النمط الأول : مبتدأ + خبر (مفرد) + شبه جملة أو نعت :

- فالحرب محتملة دائمًا
  والشر متوقع أبدًا

{ أحلام شهر زاد ١١٧ }

- كل شىء هامد خامد
  وكل شىء جامد راكد

{ أحلام شهر زاد ١٠٧ }

- هذا أكثر مما كنت أرجو
  هذا أكثر مما كانت أنتظر
  هذا أكثر مما كنت أظن

{ أحلام شهر زاد ١١٤ - ١١٥ }

- فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد
  وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماد القرب

{ أحلام شهر زاد ٨٥ }

- أنت مشوق إلى أن تسمع منها وإلا قتلتها
  وهى مشوقة إلى أن تتحدث إليك وإلا قتلتك

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

- أنت ضيق بغموض شهر زاد لا تستطيع له احتمالا

هى أيضًا ضيقة بوضوحك لا تستطيع له استقبالا

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

- أنت مشوق إلى قصص شهر زاد لا تستطيع عنه صبرًا

هى مشوقة إلى هذا القصص لا تستطيع عنه إعراضًا

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

- أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم

وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت

وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت

وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوجة

وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليلة

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

ونلاحظ أن طه حسين لم يبن هذا النمط من مبتدأ وخبر فحسب وإنما أضاف للخبر مكملات يتم بها المعنى ويتحقق بها التوازن الموسيقى ؛ وهذا النمط ورد عنده كثيراً .

ب - النمط الثانى : مبتدأ + خبر { جملة فعلية }

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر

وهذا يقدم إليه أقاليم البر

وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- هـــم يحبونك ويتنافسون فيك

وأنت تزدريهم وترفعين عنهم

{ أحلام شهر زاد ٥٩ }

- فـــأنا أراك الآن رأى العيـن

وأنا أعرفك الآن حق المعرفة

{ أحلام شهر زاد ١٠٢ }

- أنت تريد أن تلهو عن غموض شهر زاد بما تقص عليك من حديث

وهى أيضًا تريد أن تلهو عن وضوحـك بما تقص عليك مـن أخبـار

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

جـ - النمط الثالث : مبتدأ + خبر (شبه جملة)

- هـم فى حاجة دائمًا إلى أن يشكو

فهم فى حاجة دائمًا إلى أن يجدوا مصدرًا للشكوى

{ أحلام شهر زاد ٢٥ }

ولم يرد من هـذا النمط غير هذا الـنموذج ؛ الذى يؤكد أن طـه حسين لم يستعمله بكثرة .

د - النمط الرابع : خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

- ومنهـــا الخيـــر

ومنهـــا الشـــر

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فيهـــا شىء من حسرة

وفيهـا شىء من يـأس

وفيهـا شىء من حـزن

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فيها كثير من العطف

وفيها كثير من القسوة

وفيها كثير من الإغراء الذى يثير الطمع

وفيها كثير من الإباء الذى يملأ النفس يأسًا وقنوطًا

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- أين نحن الآن من النهـار

وأين نحن الآن من شئون الملك

وأين نحن الآن من شئون أنفسنا

{ أحلام شهر زاد ٥٢ }

- وفى قلوبنا - نحن الرجال - قسوة

وفى أكبادنا غلظ

وفى طبائعنا شدة وعنف

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- منهـا ما يقبـــل
ومنها ما يـــدبر
ومنها ما ييامـــن
ومنها ما يشائـــم

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- ومنهن الراضية كل الرضـــا
ومنهن الساخطة كل السخط

{ أحلام شهر زاد ١٠٥ }

- أنَّـى لنا هذا الزورق
وأنَّى لنا هذا النهـــر الذى تنحدر فيه
وأنَّى لنا هذه البحيرة التى تقبل عليها

{ أحلام شهر زاد ١٠٦ }

- وفى نفوسهم مثل ما فى نفوسنا من الحزن
وفى قلوبهم مثل ما فى قلوبنا من الأسى

{ أحلام شهر زاد ١٣١ }

- وما سبيلـه علـى النـــوم
وما سلطانه على الأطياف

{ أحلام شهر زاد ١٣٣ }

ونلاحظ على هذا النمط أن طه حسين استعمله بكثرة ؛ وتراوح هذا النمط

بين الطول والقصر ؛ وفى كلتا الحالتين تحقق التوازن النحوى بين الجمل ؛ كما نلاحظ أن تقديم الخبر على المبتدأ جاء فى صورتين : الخبر شبه الجملة ، والمبتدأ المعرفة أو النكرة ، الخبر الذى جاء فى صورة اسم استفهام ؛ والمعروف لدى النحاة أن أسماء الاستفهام لها الصدارة ؛ وتعرب : خبر مقدم، والاسم الواقع بعدها : مبتدأ مؤخر .

هـ - النمط الخامس : مبتدأ + شبه جملة + خبر

- فأنـــا لـــه زوج

وملكى لملكه تبع

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

ولم يرد من هـذا النمط إلا هذا النـموذج ، الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله إلا قليلاً .

و - النمط السادس : مبتـدأ { محذوف } + خبر { نكرة } + ظرف أو صفة

- نافـــرة دائمـًا

جامحـــة دائمـًا

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- بحر مضطرب مصطخب

ورياح متناوحة متصايحة

وسحاب متراكم متراكب

{ أحلام شهر زاد ١١٨ }

ولم يـرد هـذا الـنمـط عند طه حسين إلا مرتـين فى هذيـن النمـوذجين

السابقين ؛ ولم يرق هذا النمط له لأنه قائم على الحذف والإيجاز وهو ما يخالف طبيعة طه حسين نفسه التى تميل إلى الإسهاب والإطناب .

ر - النمط السابع : إذا الفجائية + مبتدأ + خبر

- فإذا الأرض تميد
وإذا الجو يكفهرّ

{ أحلام شهر زاد ٩٢ }

- وإذا الملك يستوى جالسًا
وإذا الملك ينهض قائمًا

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

ويبدو أن استعمال إذا الفجائية قد صارت من أدوات الربط الجاهزة عنده ؛ فيقول كذلك : وإذا الملك يسعى خطوات قصارًا . . . وإذا العاشقان يلتقيان . . . وإذا الزورق ينساب بهما فى نهر ضيق هادئ .

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

٤ - أنماط الجمل المنسوخة :

وردت الجمل المنسوخة عنده فى الرواية تحمل عدة أنماط نحوية هى على الوجه التالى :

أ - النمط الأول : فعل ناسخ + اسمه + خبره + مكملات

- فقد كان الملك يائسًا أشد اليأس من شهر زاد
وكان ضيِّقًا أشد الضيق بشهر زاد

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمة والحب وفى كثير من الإكبار والإجلال.

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- فلست فى عالم الليل والنهار

ولست فى عالم النوم واليقظة

ولست فى عالم الحلم والعلم

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

- ليس هـذا حقًا

وليس هذا عدلاً

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

ومن الملاحظ أن الجملـة فى هذا النمط تراوحت بين الطـول كما فى المثال الثانى والـقصر كما فى المـثال الرابع ؛ كما نلاحـظ أن الجملتين المتـوازيتين فى المثال الثانى ليس بينهما توازن تام ؛ فقد زادت بعض الكلمات فى الجملة الثانية ولا نظير لـها فى الجملة الأولى مـثل : الحب ، الإجلال ، كما نـلاحظ كثرة حروف الجـر فى هـذا المثـال : إلى ، فى ، مـن ، فى ، مـن ؛ وكثـرة هذه الحروف وما يستتبعها من أسماء بعدها تُجر بـها هى التى تبين لنا السبب الحقيقى فى طول الجملة عند طه حسين ؛ ولذا يمـكن القول إن طول الجملة عنده راجع إلى كثرة حروف الجر فيها كما فى قوله :

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء .

كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمـة والحب وفى كثـير من الإكبار والإجلال .

ب - النمط الثانى : فعل ناسخ + اسمه + جار ومجرور + خبره

- فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لهـا محبـًا أشد الحـب

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- فأصبح الشـذوذ لنا طبيعة

وأصبح الجموح لنا فطرة

{ أحلام شهر زاد ٦١ }

ومن الملاحـظ أن شبه الجملة عـند طه حسين لايسـتقر فـى موضـعه الذى قرره لها النحاة ؛ وإنما هو يقدمه هنـا على خبر الناسخ وفى مواضع أخرى قد يقدمه على الـفاعل ، وعلى المفعول ؛ ويبدو أن شبـه الجملة { الجار والمجرور على وجه الخصوص } هـو الأداة الطيعة التى يحقق بها طـه حسين التوازى بين الجمل .

جـ - النمط الثالث : فعل ناسخ + خبره {مقدم} + اسمه {مؤخر}

- فقد يكون من بينهم من هو خليق بالإعجاب

وقد يكون من بينهم من هو جدير بالسخـرية

{ أحلام شهر زاد ١١٦ }

ولم يستعمل طه حسين هذا النمط إلا مرة واحدة .

د - النمط الرابع : نفى + فعل ناسخ + اسمه + خبره {جملة}

- فلم يكن شىء يستغلق عليهـا

ولم يكن حكيم يثبت لحديثها

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- لا يكـــاد يعقل شيئًا

بل لايكاد يأتى حركة

{ أحلام شهر زاد ٨٦ }

والمثال الثانى الفعل الناسخ فيه من أفعال المقاربة .

هـ - النمط الخامس : حرف ناسخ + اسمه + خبره

- إنهـا بائسـة

إنهـا يائسـة

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- إنها شـاكية

إنها بـاكيـة

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- وإن الظنون تكذب

وإن الآمال تخيب

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

- كأنها الحياة تسعى إلى الجسم الهامد

أو كأنها اليقظة تسعى إلى النائم المغرق فى النوم

{ أحلام شهر زاد ٨٠ }

- فإن الحرب لايقتلها إلا الحرب
وإن الكيد لايفسده إلا الكيد
وإن الحديد لايفله إلا الحديد

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

- كأن شيئًا لم يتغير من حولها
وكأن حدثًا لم يحدث . . . . . .

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- أنى سأظهرك من الأمر على ما لم تكن تقدر أنك ستظهر عليه
وأنى سأطلعك فى قصرك على ما لم تكن تظن أن قصرك يحتويه

{ أحلام شهر زاد ٧٩ }

ومن الملاحظ فى المثالين الأول والثانى حرص طه حسين على تحقيق أكثر من إيقاع موسيقى ؛ ففيهما التوازى بين كل جملتين ؛ وفيهما السجع أيضًا ؛ وفيهما الجناس الناقص ، ونلاحظ فى المثال الأخير طول الجملتين رغم تحقق التوازى بينهما ؛ ويرجع السبب فى طول الجملة كثرة حرف الجر وما يتعلق به؛ ففى الجملة ثلاثة أحرف : من الأمر ، على ما ، عليه . كما نلاحظ تنوع الخبر للحرف الناسخ بين كونه مفردًا وكونه جملة .

و - النمط السادس : حرف ناسخ + اسمه + جار ومجرور + خبره

- أن أبًا من الآباء لم يحبب قط ابنته كما أحببتك
أن فتاة من الفتيات لم تحبب قط أباها كما أحببتنى

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

ولم يرد من هذا النمط إلا هذا المثال ؛ الذى طـالت فيه الجملة ليس لتعدد حروف الجر فحسب وإنما لميل طه حسـين إلى الإسهاب ، فالكلام عنده لايؤدى بأوجز عبارة ، وإنمـا يبسطه بسطًا ليـحمل أداء موسيقيًا يضـاف إلى أداء الأفكار والمعانى .

٥ - أنماط الجمل الشرطية والاستفهامية والتعجبية :

وردت جملة الشرط والاستفهام والتعجب فى عدة أنماط نحوية هى :

أ - النمط الأول : أداة شرط + فعل الشرط + جواب الشرط

- فأينا ثبت حتى يستسلم خصمه فهو المنتصر

وأينا سئم قبل أن يسأم عدوه فهو المهزوم

{ أحلام شهر زاد ١١٦ }

- فأيكم أراد أن يتخذها لنفسه زوجًا فليخطبها إلى نفسها

وأيكـم ظفـر منها بالرضـا فلـه ملـك أبيهـا مهـرًا

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

نلاحـظ طول جملة الشـرط ؛ كما نلاحـظ عدم التـوازى التام بـين كل جملتين ؛ فقد فلت زمامه منه لكثرة ما احتشد فى ذهنه من معانٍ وألفاظ .

ب - النمط الثانى : جواب الشرط + أداة الشرط + فعل الشرط

- لا تثبت القلـوب للحظاتها إذا نظرت

ولا تثبت النفوس لصوتها إذا تكلمت

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- كانت تتحرق شوقًا إليه إذا أقبل ميعاده المعهود من الليل
وتتحرق شوقًا إليه إذا أقبل النهار

{ أحلام شهر زاد ٢٢ }

ورغم أن هذا النمط خارج عن مألوف اللغة وما قرره النحاة فإن طه حسين لم يستعمله بكثرة .

جـ - النمط الثالث : اسم استفهام + جملة فعلية

- كيــف انتهـى إليها ؟
كيــف حُمـل عليها ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

- مــاذا رأى فيــها ؟
ومــاذا عـرف منـها ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

- كيف يكـون إفنـاء القـوة ؟
وكيف يكون دحر الأعداء ؟

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

ونلاحـظ أن هذا النمـط لم يستعمل بـكثرة عنـد طه حسـين لأن طبيعـته الاستطرادية تقتضى التقرير والإخبار لا تقتضى الإنشاء .

د - النمط الرابع : همزة استفهـام + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر + أم + معطوف

- أنائم هو أم يقظـان ؟
أحالم هو أم عـالم ؟

أعاقل هو أم مجنون ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

أقام طه حسين هذا التوازى بين الجمل على التضاد بين كل كلمتين ، ورغم سهولة هذا النمط فى تحقيق التوازى فإنه لم يستعمله بكثرة .

هـ - النمط الخامس : ما التعجبية + فعل التعجب + التعجب منه

- ما أعــذب هــذا الصوت

وما أجـمل هــذا الغنــاء

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

- فما أكثر ما قــال الملك بعينيـه لشهر زاد

وما أكثر ما قالت شهر زاد بعينيها للملك

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

لم يكثـر طه حسين من هذا النمـط المألوف الذى لايجد من الخـروج عليه مفرًا ؛ والذى لايتيح له فرصة التنويع فى الأداء .

٦ - أنماط أجزاء الجمل :

نعنى بأجزاء الجـمل أن طه حسين كان يأتى إلى جزء من الجمـلة ثم يعطف عليه جزءًا مـوازيًا له ، أو قد يعيده بلفـظه مرة ثانية ، أو قد يعـيده بمعناه دون لفظه ؛ فمثلاً يقول : وهذه التضحية الآثمة بالنفـوس التى أمر الله أن تُعصم

والدمـــاء التى أمر الله أن تحقن

والحرمات التى أمر الله أن ترعى

فهـو فى هذا المثـال لم يواز بـين جملتـين وإنما أخذ شـبه الجملـة والاسم الموصول وجملة الصلـة ثم عطف عليها ما يوازيها فى البـناء النحوى ؛ وهكذا يفعل فى أجزاء الجمل .

وهذا التوازى الذى يحدثه طه حسين بين أجزاء الجمل هو أكثر الأنماط استعمالاً عنده ، وهذه الأنماط هى :

أ - النمط الأول : جار ومجرور + اسم موصول { نعت } + جملة الصلة

- بهذا الضوء الرقيق الذى يترقرق بينهما
وبهذه الأصوات الرشيقة التى تبلغه من حين إلى حين

{ أحلام شهر زاد ١٣ }

- عن هذه الابتسامة التى كانوا ينتظرونها
وعن هذا الأمل الذى كانوا يداعبونه

{ أحلام شهر زاد ٤٣ }

- على هذا النحو الذى لم يعتده الملوك
وعلى هذا النحو الذى لم يألفه المحبون

{ أحلام شهر زاد ٤٩ }

- تلقاه بهذا العطف الذى لم يتعوده
وبهذا الحنان الذى لم يألفه

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

ونلاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط بكثرة لوجود الجار والمجرور ثم جملة الصلة التى يمكنه أن يحقق من خلالها التعادل الموسيقى المنشود .

ب - النمط الثانى : خبر لناسخ + جار ومجرور + مضاف إليه

- كان أبوها معجبًا بهذا الكبرياء
فخورًا بهذا الإباء

محـــبًا لهـــذا الامتنـــاع

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- يصـبح جـــزءًا من أجـــزائها

وعنصرًا من عناصرها

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

- كانت شهر زاد رفيقة به إلى أقصى غايات الرفق

محبة له إلى أبعـــد آمـــاد الحب

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

- فإن الجيوش وسيلة لاتقاء الحرب لا لابتغائها

وأداة لدفع الشـــر لا لاجتلابه

{ أحلام شهر زاد ١١٧ }

جـ - النمط الثالث : اسم مجرور + نعت

- إنما تحســب بالقــرون المتتابعــة

والأحقاب المتلاحقة

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

- بيدهـــا الرخـصة الناعمة

وصوتها العـــذب الجميل

ووجهها المشـــرق الوضاء

{ أحلام شهر زاد ٢٧ }

- سائلاً عن إرادته أين نـــدّت

وعن قوتـه أين شردت

{ أحلام شهر زاد ٥٦ }

د - النمط الرابع : اسم موصول + جملة صلة + جار ومجرور

- بما يضطرب فى نفس الملك من قلق

وما يملأ قلبه من حزن

{ أحلام شهر زاد ٢٣ }

- ألقوا بكل ما أعـدوا من عدة

وما حشدوا من جند

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

هـ - النمط الخامس : جار ومجرور + مضاف إليه

- ولو استطعت لمضيت فـى تشجيعك على هذا الامتناع

وإغـرائك بهـذا الإبـاء

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

- كان يسأل نفسـه عـن مصدر هذه الحيرة

وعن علـة هـذا السهاد

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

و - النمط السادس : حال + لا العاطفة + معطوف

- أن ينصبوا لى الحرب مؤتلفـين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين

{ أحلام شهر زاد ٣١ }

ز - النمط السابع : أن المصدرية + فعل مضارع + فاعل + معطوف

- كان يريدهم على أن يصطنعوا الدقة كما يصطنعها

ويمعنوا فى التفكير كما يمعن فيه

{ أحلام شهر زاد ٣٧ }

- نحن قد ألفنا أن نأمر ولا نأتمر

وأن ننهى ولا ننتهى

وأن نطاع ولا نطيع

{ أحلام شهر زاد ٦١ }

- ولم يستطيعوا مع ذلك أن يجهروا بما أضمروا

أو أن يعلنوا بما أسروا

{ أحلام شهر زاد ١٣٤ }

ح - النمط الثامن : تمييز (ملحوظ) + جار ومجرور

- ازدادت حسنًا إلى حسن

وجمالاً إلى جمال

وفتنة إلى فتنة

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

ط - النمط التاسع : خبر المبتدأ + جار ومجرور + مضاف إليه

- إنما هو ناصع كضوء الشمس

رقيق كضوء القمر

حلو كابتسامة العذراء

{ أحلام شهر زاد ٨٤ }

ى - النمط العاشر : حال { مفردة } + حال { جملة } + جار ومجرور

- أقبل الملك وَجِلاً يخفى وجله فى كثير من الجهد

ومذعوراً يُسرُّ ذعره فى كثير من العناء

{ أحلام شهر زاد ٨٦ }

ك - النمط الحادى عشر : فاعل + حال { جملة }

- وتمضى على ذلك الأيام تتلوها الأيام

والليالى تتبعها الليالى

{ أحلام شهر زاد ١٢٠ }

ل - النمط الثانى عشر : مبتدأ مؤخر + نعت

- فهناك أوامر يجب أن تصدر

وجنود يجب أن تعبأ

وأمور يجب أن تهيأ

{ أحلام شهر زاد ٨٧ }

- ولها أحيانًا هفيف كهفيف الأغصان

وأحيانًا أخرى فحيح كفحيح الحيات

- وأحيانًا أخرى صفير مخيف

وأحيانًا أخرى زئير مزعج

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

م - النمط الثالث عشر : مضاف إليه + نعت

- والتمس عند القائلين ما أحببت من وصف

الجنات الرائعة

و الرياض البارعة

والحدائق الملتفة

والغابات المتكاثفة

والأزهار المنسقة

والغدران المصفقة

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

ن - النمط الرابع عشر : مفعول به + نعت أو مضاف إليه أو جار ومجرور

- ذلك خليق أن يرد نفسك إلى الراحة

وقلبك إلى الاطمئنان

{ أحلام شهر زاد ٣٢ }

- فالتمس لى إذًا فرجـًا من هذا الحرج
ومخرجًا من هذا المأزق

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

- ستجد عند الملك أمنـا من هذا الخوف
ووزرًا من هذا الفـزع

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- يعرفـون جمالهـا الرائع
وحسنها البارع

{ أحلام شهر زاد ١١٩ }

س - النمط الخامس عشر : اسم تفضيل + مضاف إليه + تمييز

- إنما تريد أن تقترن بأقـوى ملوك الجن قوة
وأشدهـم أيـدًا
وأعظمهم بأسًا
وأبعدهم صوتًا

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

ع - النمط السـادس عشر : حال + شبه جملة + اسـم تفضيل + مضاف إليه

- وتتلقى ضوء الشمس مبتهجة به أعظم الابتهاج
نشيطة له أشـد النشـاط

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

ف - النمط السابع عشر : اسم موصول { مفعول به } + جملة صلة + جار ومجرور

- أريد ما تريده الأم لابنها

وما تريده الأخت لأخيها

وما تريده البنت لأبيها

وما تريده الزوج لزوجها الوفى

وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

ص - النمط الثامن عشر : خبر لناسخ + نعت { جملة }

- فقد استقر فى نفسه أن صاحبته

بحر لايسبر غوره

وليل لاتنجلى ظلمه

ولغز لا تحل مشكلاته

{ أحلام شهر زاد ٥٤ - ٥٥ }

ق - النمط التاسع عشر : جار ومجرور + حرف عطف + معطوف

- بما تحمله عليه من الرضا والسخط

ومن اللذة والألم

ومن النعيم والبؤس

ومن الظفر والحرمان

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

ثانيا : الجمل المتوازية والبناء النحوى :

ساق طه حسين لنا الجمل المتوازية فى نسقين هامين : تكرار النسق النحوى فقط ؛ ونعنى به تطابق جملة مع أخرى على مستوى البناء النحوى مع الاختلاف فى المعنى ؛ فالجملة الثانية تتوازى مع الأولى فى تركيبها توازيًا تامًا ؛ مثل قوله :

- فاذرف ما تستطيع أن تذرف من دموع
واحمل ما تستطيع أن تحمل من حزن
واعمل ما تستطيع أن تعمل من خير
وتجرَّع ما تستطيع أن تتجرَّع من ندم

فهذه الجمل الأربع متوازية فى البناء النحوى توازيا تامًا ، ولكن لكل جملة منها معنى يخالف المعنى الموجود فى الجمل الأخرى ، فإننا لو حلَّلنا نحويًا هذه الجمل لوجدناها تتكون من حرف العطف الفاء فى الأولى ، والواو فى بقية الجمل ثم فعل الأمر : اذرف ، احمل ، اعمل ، تجرَّع ، والفاعل الضمير المستتر أنت ؛ ثم المفعول به وهو الاسم الموصول ما ، ثم جملة الصلة؛ وهى الفعل : تستطيع والفاعل الذى جاء فى صورة ضمير مستتر تقديره أنت؛ ثم المصدر المؤول المكون من أن والفعل ، وهذا المصدر المؤول فى محل نصب مفعول به ، وتقدير الكلام : واحمل ما تستطيع حمله من حزن ، ثم أخيرًا شبه الجملة الجار والمجرور المتعلق بالفعل قبله .

وكذلك قوله : منها ما يقبل
ومنها ما يدبر
ومنها ما ييامن
ومنها ما يشائم

فالملاحظ على هذه الجمل الأربع أنها متفقة تمامًا فى بنائها النحوى ، حيث تتكـون من حرف الجر : من ، والـضمير المجرور : هـا ، وشبه الجملـة خبر مقدم ، والاسم الموصول : ما هو المبتدأ المؤخـر ، ثم جملة الصلة المكونة من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب ، والفعل فى جملة الصلة مضارع يبدأ بالياء ثـم هو من أصل رباعى : أقبل ، أدبر ، يامن ، شائـم ، والملاحظ أن الأول والثانى مزيدان بالهمزة ، والثالث والرابع مزيدان بالألف .

ورغم تطابق البناء النحوى بين هذه الجمل فإنها تختلف فى دلالتها ؛ فلكل جملة معنى يختلف عن غيره .

ويقول أيضًا :

أنـا أمـــك حين تحتاج إلى حنـان الأم

وأنا أختـك حين تحتاج إلى مـودة الأخت

وأنا ابنتـك حين تحتاج إلى بـــر البنـــت

وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوجة

وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مـرح الخليلـة

هذه الجمل الخـمس بنيت بناءً نحـويًا متوازيًا ؛ فالمبتدأ : أنــا ، ثم الخبر : أم، أخت ، ابنـة ، زوج ، خليلـة ، ثم كاف الخطـاب فى محل جـر مضاف إليه، ثـم ظرف الزمان : حين ، ثم جـملة الصلة : تحـتاج ، والفاعل مسـتتر تقديره أنت ، ثـم حرف الجر : إلى ثم المجرور بهذا الحـرف ، وأخيرًا المضاف إليه ، ورغـم اتفاق هذه الجمل فى بنائها النحوى اتفاقًا تامًا فإن المعنى مختلف .

أما النسق الثانى فهو النسق النـحوى الدلالى ؛ ونعنى به توازى جملتين أو أكثر واتفاقهما فى البناء النحوى وأيضًا فى الدلالة .

فالنسق الأول متفق فى بناء الألفاظ فقط دون المعنى ، والنسق الثانى متفق فى بناء الألفاظ والمعنى ، ولذا فالأول بناء نحوى فقط ، والثانى بناء نحوى دلالى ، مثل قوله :

- يتبع هواه الجامح
ويركب شهوته المندفعة

فهاتان الجملتان متفقتان فى البناء النحوى حيث إن كلاً منهما يتكون من الفعل المضارع ، والفاعل المستتر : هو ، والمفعول به ؛ والضمير الهاء مضاف إليه ، ثم النعت المصاغ على اسم فاعل . وهما كذلك متفقتان فى الدلالة ، فالهوى الجامح يعنى أيضًا الشهوة المندفعة .

ومثل قوله :

يستعدون لكل حادثة
ويتأهبون لكل كارثة

فالجملتان مبنيتان بناء نحويًا واحدًا ؛ فكل منهما تشتمل على الفعل المضارع المرفوع بثبوت النون ، وواو الجماعة الفاعل وشبه الجملة الجار والمجرور : لكل ، ثم المضاف إليه فى نهاية الجمل المصاغ على وزن فاعل .

وإلى جانب الاتفاق فى البناء النحوى فهناك نوع من الموسيقى مصدرها الجناس بين : حادثة ، وكارثة ، والسجع كذلك ؛ ونلاحظ من خلال هاتين الجملتين أن طه حسين وزَّع الحروف بين الجملتين المتوازيتين توزيعًا عادلاً ، وكأنه يمسك بكفتى ميزان ؛ فكلما وضع حرفًا فى إحداهما وضع نظيره فى الكفة الأخرى .

ثم جاء المعنى متفقًا بين الجملتين ، فصارت الجملتان ملفوفتين تأخذ كل منهما برقبة الأخرى فى جرس موسيقى بديع ومعنى جلى .

وقوله أيضًا :

- اقترفـتَ من الإثـم مثل ما اقترفـوا
واجترحتَ من الذنب مثل ما اجترحوا

فالجملتان متفقتان فى البناء النحوى ؛ فكل منهما يتركب من الفعل الخماسى المزيد بالهمزة والتاء ثم تاء الفاعل ، ثم الجار والمجرور ثم المفعول به: مثل ، ثم الاسم الموصول : ما مضاف إليه ، ثم جملة الصلة المكونة من الفعل والفاعل ؛ ولا محل لها من الإعراب .

والجملتان كذلك متفقتان فى الدلالة ؛ فالفعل اقترف يرادفه اجترح ، والإثم هو أيضًا الذنب .

وبذلك تأكد لدينا أن طه حسين ينشئ جملاً متوازنة على مستوى البنية النحوية ، ومتوازنة كذلك على مستوى الدلالة .

ولكنه فى بعض الأحيان لايجعل التوازى بين الجملتين توازيًا تامًا ؛ فقد يتخلى عن ذلك حرصًا منه على أن ينقل إلينا كل ما يختلج فى عقله وقلبه من خواطر ومشاعر ، فليس الجمال الصوتى عنده هدفًا فى حد ذاته وإنما هو وسيلة يتوسل بها لينقل للمتلقى ما يتدفق على ذهنه من معانٍ وأفكار .

فهو يقول : - قد غيـرت من رأيهـا
وعدلت عن سيرتها الأولى

فإضافته كلمة : الأولى بعد : سيرتها أخل بالتوازن ، ولكنه لم يشأ أن يحقق التوازن على حساب المعنى ؛ فقوله : عدلت عن سيرتها فقط يعنى أنها لم تكن تسير إلا سيرة واحدة ؛ أما إضافة كلمة : الأولى فأشعرت المتلقى أن الملكة سارت سيرة ثم عدلت عنها إلى سيرة أخرى ، ثم عادت مرة ثانية إلى ما سارت عليه أولاً .

- وقوله : إنا ندفعها إلى المـوت حين نحارب

ونـدفعهـا إلى البؤس والشقاء حين نسالم

نلاحظ أن مـجئ كلمـة : الشقاء بعـد كلمة : الـبؤس أخل بالـتوازن بين الجملـتين ؛ ولكنـه أراد أن يوصل للـمتلقـى معنى زائـدًا عما هو مـوجود فى كلمـة: البؤس ، ليؤكد أن حـالة السلم لهـؤلاء الملوك لا تقل عذابًا عـن حالة الحرب .

وقد يحدث الخـلل فى التوازى بين الجمل لا بـسبب دفقة الفكـر والشعور المندفعة مـن عقل وقلب طه حسين فحـسب وإنما لسبب آخر يتـمثل فى الحرص على تحقيق السلامة اللغوية

- مثل قوله : لا تدنيــــــه إلا لتقصيه

ولا تلطف به إلا لتعنف عليه

فقد اختل الـتوازن بين الجملتين لاختـلاف الفعل فيهما ؛ فـالفعل : أدنى متعـدٍ لمفعول واحد ، والفـعل : لطف لازم وكذلـك الفعل : أقصى مـتعد ، والفعلَ : عنف لازم ومن هنا جاء اختلال التوازن .

وهذا يؤكد لنا أن حرص طه حسين علـى سلامة اللغة كان أشد من حرصه على تحقيق الإيقاع الموسيقى .

- وقـــوله : لم تقــص عليه شيئًا

ولم تتحدث إليه بشىء

فقد اختل التـوازن بين الجملتين لا لشىء إلا لعلم طـه حسين أن الفعل : قصَّ متعدٍّ ، والفعل : تحدَّث لازم .

- وقوله : لم تمنح واحدًا منهم ابتسامة

ولـم تهد إلى واحد منهم نظـرة

لقد كان بـإمكان طه حسين أن يقول فـى الجملة الثانية : ولـم تهد واحدًا منهم نظرة ؛ ولو أنـه قال ذلك لتحقق التوازن الموسيقـى ؛ ولكن على حساب صحـة اللغـة وسلامتهـا ؛ ولذا فقـد آثر هذه عـلى تلك واخـتل التـوازن بين الجملتين واكتمل المعنى وسلمت اللغة .

نخـلص من ذلـك إلى أن طه حـسين قدم لـنا نـسقين مـن أنساق الجـمل المتوازية: نسق يتطابق فى البناء اللغـوى فقط ، ونسق يتطابق فى البناء النحوى والدلالة؛ وإذا اختل هـذا التوازن بين الجمل فذلك راجع إلى سـببين هامين : حرصه على أن يـقدم لنا كل ما يختلـج فى عقله وقلبه من خـواطر ومشاعر ، وحرصه أيضاً على تحقيق السلامة اللغوية .

ثالثا : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتضاد الدلالى :

نعنى بالـتضاد هنا كل كلمـتين تختلفان فى الـلفظ وتتناقضان فـى المعنى ، كالأبيض والأسود ، والحى والمـيت ، ولا نعنى به اللفظة الـواحدة التى تحمل معنيين متناقضين كإطلاق المولى على السيد والعبد .

هناك علاقة وثيقـة بين التضاد والجمل المتوازية عند طه حـسين ، فهو يلجأ إلى التضاد ليستـعين به على بناء الجمل بناء متوازيًا ، فطـه حسين جعل التضاد فى خدمـة الجمل المتوازية ، ولـيس العكس ؛ لأنـنا سنرى من خلال الأمـثلة جملاً قائمة على التضاد دون حاجة إلى ذلك إلا الإيقاع الموسيقى فحسب .

فهو يقول : - بما تحمله عليه من الرضا والسخط

ومن اللـذة والألـم

ومن النعيم والبـؤس

ومن الظفر والحرمان ص ٥٥

فهو من خلال الكلمة وضدها صنع توازيا بين أشباه الجمل الأربع ؛ ولا أظن أن المعنى كان فى حاجة إلى كل هذه الثنائيات المتضادة ؛ والمرجح أنه لجأ إلى ذلك لتحقيق مأربه الذى ما فتئ يلح عليه بين الفينة والفينة وهو الجمال الصوتى والإيقاع الموسيقى .

ويقول أيضًا :

- أنائم هو أم يقظان

أحالم هو أم عالم

أعاقل هو أم مجنون ص ١٢٨

هذا الولع بالثنائيات المتضادة متفشٍ فى كلام طه حسين لايكاد يحيط به الحصر ؛ وهو يكون فى الأسماء والأفعال والصفات .

ويقول أيضًا :

- فلست فى عالم الليل والنهار

ولست فى عالم النوم واليقظة

ولست فى عالم الحلم والعلم ص ١٢٩

فالجمل الثلاث السابقة تتكرر ألفاظها كما هى باستثناء الكلمة وضدها : الليل × النهار ، النوم × اليقظة ، الحلم × العلم .

- ويقول أيضًا :

- أن ننعم وهم بائسون

وأن نقوى وهم ضعفاء

وأن نثرى وهم فقراء ص ٦٠

فكل كلمة فى الجمل الثلاث تتكـرر ما عدا التضاد الذى أحدثه بين الأفعال والأسماء : ننعم × بائسون ، نقوى × ضعفاء ، نثرى × فقراء .

ويعكس طـه حسين التضاد الذى أحدثـه بين الأفعال والأسماء فيجـعله فى هذه المرة بين الأسماء والأسماء مع تقديم وتأخير ؛ فيقول :

- نستمد من بؤســهم نعيمًا

ومن ضعفهم قــوة

ومن فقرهـم ثــراء ص ٦٠

والحرص على هذه الثنـائيات المتضادة بهذا الشكل يجعلـنا نعلن صراحة أن طه حسين فى كثير من الأحيان يسوق أساليب محـفوظة بذاتها يبنى عليها معانيه ويصوغ علـيها أفكاره ؛ وصارت هذه الألـفاظ الجاهزة والجمل المحـفوظة تجر إليها المعـانى وتشدها شدًا . ونسوق جُملةً مـن هذه الثنائيات ليتـأكد لنا ذلك : يقول :

- ندفعهــا إلى المـوت حين نحارب

وندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم ص ٦٣

ويقول : - يمسها جناح من لين

أو يصيبها عارض من شدة ص ٥٨

ويقول : - فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لهــا محبــًا أشد الحـب ص ٢٤

ويقول : - فيرى نورًا لايشبه النور

وظلمة لا تشبه الظلمة ص ١٢٨

ويقول : - لننعم كما كنا ننعم

ونأسى كما كنا نأسى ص ١٣٢

ويقول : - ألا يتقدم إلا ليتأخر

ألا يمضى إلا ليقف ص ٤٢

ويقول : - وهم إلى السخط أقرب منهم إلى الرضا

وإلى المعصية أدنى منهم إلى الطاعة ص ١١٨

ويقول : - أفق يا مولاى من نومك إن كنت نائمًا

ومن يقظتك إن كنت مستيقظًا ص ١٢٩

ويقول : - لا تدنيه إلا لتقصيه

ولا تلطف به إلا لتعنف عليه ص ٥٤

ويقول : - ينصبوا لى الحرب مؤتلفين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين ص ٣١

ويقول :- فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد

وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماد القرب ص ٨٥

هذا الولع بالثنائيات المتضادة لم ينشأ لدى طه حسين من فراغ ، فقد كانت له جذوره العميقة فى مكنون عقله وحسه ، وارتبط هذا الضرب من التوازن المتعارض بواقع حياته التى كانت مزيجًا من هذه المتضادات المتوازنة .

وعلى هذا النمط من التوازى يسوق طه حسين جمله ، وإن الإنسان ليخيل إليه كأنما سُخِّرت له ألفاظ اللغة تسخيراً ، فهو يختار منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء .

وهذا التوازى هو الذى يتيح لطه حسين هذه المعادلات الصوتية التى تجعل الجمل تتعادل هذا التعادل الموسيقى البديع ، وكأنما قد فصلت تفصيلاً وقسمت تقسيمًا ؛ فإذا الفكرة لا تؤدى فى جملة واحدة ، ولكن فى عدة جمل ، لا لسبب إلا لأن طه حسين يريد لها أداءً موسيقيًا بجانب أدائها المعنوى .

رابعًا : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتجنيس :

التجنيس الذى نعنيه هنا هو اتفاق بين كلمتين فى عدد من الحروف ؛ وهو ما يعرف عند البلاغيين بالجناس الناقص ؛ فإن اتفقت الكلمتان فى جميع الحروف وترتيبها وضبطها فهو الجناس التام[1] ؛ والذى وجدناه عند طه حسين هو الجناس الناقص وليس التام .

وقد جانس طه حسين بين الألفاظ ليحقق لجمله إلى جانب التوازى جرسًا موسيقيًا عاليًا .

وقد صار هذا التجنيس ركيزة من ركائزه الكلامية التى يكثر دورانها فى كلامه .

ويأتى التجنيس عنده على ضربين :

الضرب الأول : أن يشتق من الكلمة القابلة للاشتقاق صفة ؛ بمعنى أن الحروف الأساسية الموجودة فى الكلمة تعود فتظهر فى الصفة ؛ فيحدث بين الكلمة والصفة المشتقة منها جناس موسيقى جميل ، فيتخذ من كلمة : جهد صفة وهى جهيد . ومن كلمة : رقة صفة وهى : رقيقة ، وهكذا يصنع جناسًا لايكاد يشركه فيه أحد من القدامى أو المحدثين ، وهو يصنع ذلك بحس بالغ الرهافة إلى الموصوفات التى تقبل أن تشتق منها صفة :

(١) حل مصطلح الجناس فى البلاغة انظر : البديع لابن المعتز ، ط المستشرق الروسى كراتشكوفسكى ، والجامع الكبير لابن الأثير ، ط المجمع العلمى العراقى ، والإيضاح للقزوينى .

فيقول : - مشقــــة شـــاقة

وعســــر عسير

ويقول : - البيـــان المبـــين

ويقول : - رقـــة رقيقـــة

ولـــين ليِّـــن

ويقول : - جــهد جهيـــد

ومشقــة شــاقة

ويقول : - ثم عادت إلى ظلمتها المظلمة

وهذا الاشتقــاق نجد صداه فى القرآن الـكريم لاينتبه لـــه إلا ذو أذن واعية كطه حسين ؛ نجـــده فى قـــوله تعالى : ﴿ وكنت نسيًا منسيًا ﴾ ، وفى قوله : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ .

وأما الضرب الثانى من ضروب التجنيس عنده فهو أن يجاور بين كلمتين أو أكثر تشتركان فى عدد من الحروف ؛ يصنع من خلالهما التوازى بين الجمل إلى جانب الموسيقى الداخلية النابعة من هذا الجناس .

فيقول مثلاً : - رفيـــق رقيـــق

- فرحـــة مرحـــة

- أن ينصبوا لى الحرب مؤتلفـــين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين

- بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل

- قـــدَّرت له أحلام صاحبته تقديراً

وقطَّرت له أحاديثها تقطيراً

- لم يتعود أن يجدها فى خرير الغدير
- وقد ثاب إليه حزمه وعزمه

  وعاد إليه حدّه وجدّه
- الجنات الرائعة ، والرياض البارعة
- والحدائق الملتفة ، والغابات المتكاثفة
- والأزهار المنسقة ، والغدران المصفقة
- كل شىء هامد خامد

  وكل شىء جامد راكد
- إنها بائسة ، إنها يائسة
- إنها شاكية ، إنها باكية
- بحر مضطرب مصطخب
- ورياح متناوحة متصايحة
- وسحاب متراكم متراكب
- يعرفون فتنتها وفطنتها
- أحالم هو أم عالم
- الماهرة الماكرة
- يبلغ أذن الملك صوت شهر زاد **رقيقًا رشيقًا**
- هذا الجو **الفرح المرح**

هذا الأسلوب المتموج الزاخر بالنغم يؤكد إيمان صاحبه بأن الأدب الجدير بهذا الاسم هو الذى يروع السمع كما يروع القلب فى آن واحد .

وهو لذلك يوفر لصوته كل جمال ممكن ، فقد أصبح هذا الأسلوب جزءًا من نفسه وعقله ، فهو لايملى ولا يحاضر إلا به ، وكثيرًا ما تجد فيه الألفاظ المتجانسة ، وهو يعمد إلى ذلك عمدًا حتى يستتم ما يريد من إيقاعات وأنغام ينفذ بها إلى وجدان سامعه وقارئه .

خامساً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالإطناب :

الإطناب لغةً : مصدر أطنب فى كلامه إذا بالغ فيه وطوَّل ذيوله ، واصطلاحًا : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ؛ فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو[1] . وللإطناب عند طه حسين صور ثلاث ؛ هى التكرار ؛

كقوله : - إنما تمضى وتمضى فى ارتفاعها

وتمضى وتمضى فى اتساعها

- وإذا هى تهبط ثم تهبط

وتضيق ثم تضيق

والصورة الثانية للإطناب عنده هى الترادف ؛ ويكون على مستوى الكلمة أو الجملة أو عدة جمل .

ومثال الترادف عنده قوله :

- وجِلاً يخفى وجله فى كثير من الجهد

ومذعورًا يُسرُّ ذعره فى كثير من العناء

(١) حول مصطلح الإطناب فى البلاغة انظر : سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وكتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، وعلوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغى .

فالوجل يـرادفه الذعر ، والفعل : يـخفى يرادف الفعل : يـسرّ ، والجهد يرادف العناء . ولذا فالجملتان بينهما إطناب عن طريق الترادف .

والصورة الثـالثة من صور الإطناب عنـده هى التفصيل بـعد الإجمال ، أو التوضيح بعد الغموض ؛ كقوله عن شهريار :

وثارت فى نفسه عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ،

فيها شىء من حسرة

وفيها شىء من يأس

وفيها شىء من حزن على عهد قد انقضى

فالإجمال فى قوله : عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ، والتفصيل بعد ذلك .

والإطناب عند طه حـسين ظاهرة طبيعية ، لفقـده حاسة الرؤيا ؛ وإذا كان تشتيت الانـتباه يخلط أو يطمس مـن العقل السياق الذى برزت مـنه المادة التى تُقرأ فمـن الممكن استعـادة السياق بإرجـاع البصر سريـعًا عبر النص علـى نحو انتقائـى ، ويختلف الموقـف عند طه حسين ، فلـيس ثمة شىء يسـتدبره خارج العقل ، لأن المنطوق الشفاهى عنده يكون قد تلاشى بمجرد أن ينطق به ، ومن ثم يكون علـى العقل أن يتحرك إلى الأمام بـشكل أكثر بطئًا محتـفظًا قريبًا من بؤرة الانتبـاه بالكثير ممـا قد تناوله من قبـل ، فيلجأ إلى الإطـناب لأن الإطناب يجعل كلا من المتكلم والسامع على الخط نفسه بشكل مؤكد .

ومـما يدعـو أيضًا إلـى الإطنـاب حـاجة مـن يلـقـى علـى جمـهور إلـى الاستمرارية، لأن التـردد فى الإلقاء الشفاهى علامة على الـقصور ، ومن هنا كانت إعادة الكلام بشكل فنى فى صورة ترادف أو تكرار أو توضيح أفضل من التوقف عن الكلام جريا وراء الفكرة التالية .

ومن ثم كان للإطناب عند طه حسين وظيفة مزدوجة تتعلق به كما تتعلق بالجمهور المستمع إليه ، حيث يسمح له بأن يظل على ذكر مما قال ، كما يتيح له فرصة التفكير فيما سيقول ؛ وحيث يتيح للجمهور المتابعة فلا يند عنه شيء.

كل هذا يؤكد أن الإطناب عنده كان ضرورة تفرضها طبيعة الخطاب الشفاهى ، ثم صار عادة عنده حتى عندما يملى ، ولكنه استطاع أن يجعل منه موضوعًا جماليًا ، يملأ الأسماع عندما يُتلقى سماعًا ، ويثير التأمل عندما يُقرأ على الورق .

وقد استعان طه حسين بالإطناب فى صوره الثلاث ليحقق التوازن بين الجمل ؛ فمن الجمل المتوازية التى تحققت عن طريق الإطناب بالتكرار :

- انعقد لسان شهريار

وانعقد لسان شهر زاد

فقد تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق تكرار : الفعل : انعقد ، والفاعل : لسان ، ولم يتغير سوى المضاف إليه .

- تصل إلى نفوس الرقود أحيانًا

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا أخرى

فقد تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق التكرار لكل كلمات الجملتين ما عدا : الرقود فى مقابل الأيقاظ ، وإضافة كلمة : أخرى فى نهاية الجملة الثانية :

- يمد يده عن يمين

ويمد يده عن شمال

تحقق فى هاتين الجملتين التوازى التام ؛ وكان الإطناب بالتكرار هو العامل

الأساسى فى تحقيق ذلك ؛ ولم يتغير فى الجملتين إلا آخر كلمة فى كل منهما : يمين ، وشمال .

- فــرأى فيها ما رأى

وسمع فيها ما سمع

تحقق أيضًا التوازى بين الجملتين عن طريق الإطناب بالتكرار ؛ فكل جملة تكرر فيها الـفعل مرة أخرى ؛ رأى ، سمع ؛ إلى جانب تكــرار شبه الجملة : فيها .

وهناك الكثير مــن الجمل المتوازية التى تحققت عن طـريق التكرار لا مجال لحصرها لكثرتها .

أما الجمل التى تحقق فيها التوازى عن طريق الإطناب بالترادف فهى :

- فالحرب محتملة دائمًا

والشــر متوقــع أبــدًا

نلاحظ أن الجملــة الثانية مرادفة للأولــى ؛ وإنما ساقها طه حسين لـتحقيق التوازن الموسيقى بينهما ، فالحرب هى الشر ، والمتوقع يرادف المحتمل ، ودائمًا تحل محل أبدًا .

- كل شىء هامد خـامد

وكل شىء جامد راكد

تحقق الـتوازى بين الجمـلتين عن طـريق الإطناب بـالتكرار : كـل شىء ، والإطناب بـالترادف : هامـد وجامد ، وخامـد وراكد ، وإلى جانــب التوازى هناك موسيقى داخلية نابعة من التجنيس بين هامد ، وخامد ، وجامد وراكد ، ونابعة كذلك من السجع الذى حدث بين الجملتين .

- هذا أكثر مما كنت أرجو
هذا أكثر مما كنت أنتظر
هذا أكثر مما كنت أظن

تحقق التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق الإطناب بالتكرار : هذا أكثر مما كنت ؛ وكذلك عن طريق الإطناب بالترادف بين : أرجو ، أنتظر ، أظن ، وبذلك أصبح الإطناب أداة طيعة فى يد طه حسين حقق من خلاله التوازى بين الجمل ، وكذلك قوله :

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر
وهذا يقدم إليه أقاليم البر
وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

حقق طه حسين التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق التكرار لكل وحدات الجملة ما عدا الوحدة الأخيرة : البحر ، البر ، الجو ، ولو كانت هناك كلمة أخرى تدل على اتجاه رابع غير هذه الاتجاهات الثلاثة لجعل الجمل المتوازية أربعًا لا ثلاثًا .

- فأصبح الشذوذ لنا طبيعة
وأصبح الجموح لنا فطرة

تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق الإطناب بالتكرار لكلمة : أصبح ، لنا ؛ والإطناب بالترادف : الشذوذ والجموح ، طبيعة وفطرة .

- فإن الحرب لا يقتلها إلا الحرب .
وإن الكيد لا يفسده إلا الكيد .
وإن الحديد لا يفلّه إلا الحديد .

تحقق التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق الإطناب بالتكرار لكلمة :

إن ، لا ، إلا ، والإطناب بالترادف بين : الحرب ، الكيد ، الحديد .

أما التوازى بين الجمل الذى تحقق عن طريق التفصيل بعد الإجمال فنماذجه قليلة بالقياس إلى الإطناب عن طريق التكرار ، أو الإطناب عن طريق الترادف ، وعلة ذلك أن التفصيل بعد الإجمال يحتاج إلى نظرة شمولية للفكرة ؛ وقد كان طه حسين يعرض فكرته بشكل جزئى ؛ ويبرزها فى جزئيات متعددة حتى يصل إلى الفكرة الكلية بعد خطوات وئيدة لأنه كان يعتمد على الخطاب الشفاهى الذى يتحسس اللفظ قبل صدوره ، على عكس من يكتب فإنه لايحتاج كثيراً إلى تكرار أو ترادف أو تفصيل ، وإنما يقفز إلى فكرته بصورة كلية شاملة .

وقد استعان طه حسين بالتفصيل بعد الإجمال ليحقق به التوازى بين الجمل؛ ومن نماذجه :

يقول : - ولكن الحرب ستبلغهم هم :

- ستعرض شبابهم للموت

وستعرض أطفالهم لليتم

وستعرض أموالهم للفناء ص ٥٨

فالإجمال جاء فى قوله : ولكن الحرب ستبلغهم هم . والتفصيل ما جاء بعده .

ويقول : - وتسارعوا إلى أبيها يحكمونه فيما يخضع لهم من الممالك والأقاليم :

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر

وهذا يقدم إليه أقاليم البر

وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

فالإجمال فى قـوله : يخضع لهم من المـمالك والأقاليم ؛ والتفـصيل بعد ذلك .

ويقول : - وهذه الرياح تتناوح :

- منهـا ما يقبـل

ومنها ما يـدبر

ومنها ما ييامـن

ومنها ما يشائم

ومن الواضـح أن هذا النوع من الإطـناب { التفصـيل بعد الإجمـال } يبدأ بتقرير حقيقة مـا ، ولكن هذا التقرير فيه إجمال يتوقع معـه المتكلم أن المستمع سيوجه إليه السؤال : وكيف ؟ فيشرع المتكلم عندئذ فى التفصيل .

ويرجع السبب فى وجود هذا اللون من الإطـناب عند طه حسين إلى طبيعة المعلم فيه ، فبنية التفصيل بعد الإجمال بنية تعليمية من الطراز الأول[1] .

سادساً : الجمل المتوازية وعلاقتها بحروف الجر :

لحروف الجر دور هام عنـد طه حسين فى تحقيق التوازى بـين الجمل ، فهو من خلال حرف الجر والاسم المجرور به أو ما يعـرف فى اصطلاح النحاة بشبه الجملة يمكنه أن يتحرك فى حرية تامة لتحقيق الإيقاع الموسيقى الذى ينشده .

فهو يقدم شبه الجملة الجار والمجرور على الفاعل ليحقق هذا التوازى؛ كما فى قوله :

- تندى له الجباه

ويتصبب له العرق

(١) د. عز الدين إسماعيل أنا المتكلم طه حسين ، ص ٢٠ . مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العددان الأول والثانى . أكتوبر ١٩٩٠م

وفى قوله : - قد ثاب إليه حزمه وعزمه
وعـــاد إليه حـــده وجده

وفى قوله : - قد ثاب إليه الأمـــن
وعادت إليه الطمأنينة

وفى قوله : - يختلط فيه هذا كله
ويشتبه فيه هذا كله

وفى قوله : - وقد جاشت فى نفسه عواطفه الثائـرة
واضطـربت فى رأسه خواطره الحمراء

- ويقدم شبه الجملة الجار والمجرور على المفعول به ؛ كما فى قوله :

- يثيـــر فى نفسك القلـــق
ويبعث فى قلبـك الخوف

وفى قوله : - أصف لك ما لايوصف
وأصور لك ما لا سبيل إلى تصويره

وفى قوله : - فـــرأى فيها ما رأى
وسمع فيها ما سمع

وفى قوله : - فتبعث من أفواهها أصواتًا قصيرة حلوة
وتبعث فى أجنحتها خفقات يسيرة

وفى قوله : - اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا
واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا

وفى قوله : - فلن أعصى لك أمرًا
ولن أرد عليك قولاً

وفى قوله : - لا أحب منهم أحدًا

ولا أبغض منهم أحدًا

ولن أتزوج منهم أحدًا

- وقد يأتى بالجملة الاسمية التى خبرها شبه جملة (جار ومجرور) ، فيقدم الجار والمجرور على المبتدأ ؛ فى حالة جواز تقديمه أو عدم تقديمه ؛ كما فى قوله :

- منها الخير

ومنها الشر

وفى قوله : - ومنهن الراضية كل الرضا

ومنهن الساخطة كل السخط

- وإذا كانت الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ وخبر وشبه جملة فإننا نجده يقدم شبه الجملة على خبر المبتدأ ؛ كما فى قوله :

- فأنا له زوج

وملكى لملكه تبع

- وإذا كانت الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر وشبه جملة منسوخة بفعل ناسخ فإنه يقدم الجار والمجرور على خبر الناسخ ؛ كما فى قوله :

- فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لها محبًا أشد الحب

وكما فى قوله : - فأصبح الشذوذ لنا طبيعة

وأصبح الجموح لنا فطرة

وإذا كان خبر الفعل الناسخ شبه جملة (جار ومجرور) فإنه يقدمه على اسمه ؛ كما فى قوله :

- فقد يكون من بينهم من هو خليق بالإعجاب
وقد يكون من بينهم من هو جدير بالسخرية

وإذا كانت الجملة الفعلية مكونة من فعل وفاعل وشبه جملة ؛ فإنه فى مواضع عديدة يقدم شبه الجملة الجار والمجرور على الفعل والفاعل ؛ كما فى قوله :

- ومن هذا الباب قد دخلت الوصائف آنفًا
ومن هذه الجدران قد نبعت أنغام الموسيقى

كل هذه النماذج تؤكد لنا أن شبه الجملة (الجار والمجرور) يمثل ركنًا أساسيًا فى بناء الجملة بشكل عام عند طه حسين وفى بناء الجمل المتوازية بشكل خاص عنده ؛ فهو يقدم شبه الجملة على الفعل والفاعل ، ويقدمه على الفاعل والمفعول به ، ويقدمه على المفعول به فقط ؛ وإذا كانت الجملة اسمية فإنه يقدم شبه الجملة (الجار والمجرور) على الخبر ؛ وإذا كانت هذه الجملة منسوخة بفعل ناسخ أو بحرف ناسخ فإنه يقدم الجار والمجرور على خبر الناسخ.

وهذا التقديم - فى رأيى - لا يقتضيه إلا أمر واحد هو الموسيقى أو التوازن بين الجمل الذى يحرص عليه طه حسين أشد الحرص .

وهناك ظاهرة أخرى تتعلق بشبه الجملة (الجار والمجرور) ؛ وهى عدم خلو الجملة التى يبنيها طه حسين منه ؛ أى جملة سواء أكانت جملة فعلية أم اسمية فقلما نجد جملة عنده خالية من حرف الجر والاسم المجرور به ؛ ولو

ذهبنا نحصر ذلك لصعب لكثرة ؛ ولكنّا نسوق بعض النماذج :

كما فى قوله : - شقى فيه وسعد

ونعم فيه وابتأس

وكما فى قوله : - يتسع من ضيق

وينفرج من تقارب

وكما فى قوله : - يستعدون لكل حادثة

ويتأهبون لكل كارثة

وكما فى قوله : - قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها

وكما فى قوله : - قد وصلت إلى دخيلة نفسه

ووقفت على جلية أمره

وكما فى قوله : تصل إلى نفوس الرقود أحيانًا

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا

بل وأكثر من ذلك قد يكون فى الجملة أكثر من حرف جر ؛ أى أكثر من شبه جملة (جار ومجرور) ؛ كما فى قوله :

- لتستمع باليقظة كما استمتعت بالنوم

ولتنعم بالشعور كما نعمت باللاشعور

وكما فى قوله : - فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لايستطيع تحريكها إلى التفكير

وأحس جسمه ثقيلاً عليه لايستطيع دفعه إلى النشاط

وكما فى قوله : - سحرته عن نفسه وعما حوله بسيرتهـا

تسحـره عن نفسه وعما حوله بقصصها

ففى هذا المثـال الأخير ثلاثة أحرف للجـر بمعنى أن فى الجملة ثـلاثة أشباه للجمل (جار ومجرور) ؛ الأمر الذى يؤكد أن شبه الجملة (الجار والمجرور) يمثل مكونًـا أساسيًا من مكونات الجملـة عند طه حسين بصفـة عامة ، ومكونًا أساسيًا من مكونات الجمل المتوازية عنده بصفة خاصة .

وقد يكون فى الجملة المتوازية أكثر من ثلاثة أحرف للجر ؛ بمعنى أن يكون فيها أكثر من ثلاثة أشباه للجمل (جار ومجرور) ؛ كما فى :

- أنت تريد أن تـلهو عن غموض شهر زاد بما تقص عليك من حديث وهى أيضًا تريد أن تلهو عن وضوحك بما تقص عليك من أخبار .

ففى هاتين الجملـتين المتوازيتين أربعة أشباه للجـمل : عن وضوحك ، بما تقص ، عليك ، من أخبار .

وقد يكون فى الجملة خمسة أشباه للجمل (جار ومجرور) كما فى :

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء

كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمـة والحب وفى كثـير من الإكبار والإجلال

كـل هـذه النماذج التى سقتها تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن شبه الجملة { الجار والمجرور } كان لـه دور هام فى تحقيق الـتوازن الموسيقى بـين الجمل ؛ ولم يكن يأتى بـه طه حسين اعتباطًا وإنما لهدف أساسى مـن أهدافه فى الكلام عامة وهو الجمال الصوتى والإيقاع الموسيقى .



الخاتمة

نستطيع فى هذه الخاتمة أن نرصد أهم النتائج التى وصلت إليها هذه الدراسة ؛ وهى متمثلة فى الآتى .

١ - كان لثقافة طه حسين ووعيه بالتراث العربى وتمثّله له أثر كبير فى تحقيق التوازن الموسيقى بين الجمل ؛ فها هو قد استمع إلى الشعراء والأدباء فى عصور العربية المختلفة ، وتذوق أنماط الجمل العربية ؛ ولذا نجده يستمد كثيرًا من آيات القرآن فى بنائه لجملته ؛ كما فى قوله : - تصل إلى نفوس الرقود أحيانًا ، كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحيانًا أخرى » ؛ لهذا التضاد بين الرقود والأيقاظ مستقى من قوله تعالى : ﴿ **وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود** ﴾

- وكما فى قوله : « قد غيرت فى رأيها ، وعدلت عن سيرتها الأولى » - مستمد من قوله تعالى : ﴿ **قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى** ﴾ .

- وكما فى قوله : « يرونه قصيرًا ، وأراه طويلاً » مستمد من قوله تعالى : ﴿ إنهم يرونه بعيدًا ، ونراه قريبًا ﴾ .

- وكما فى قوله : « اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا ، واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا » ، مستمد من قوله تعالى : ﴿ **وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** ﴾ ؛ ومن قوله تعالى : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

- وكما فى قوله : « يمسها جناح من لين ، أو يصيبها عارض من شدة » ؛ مستقى من قوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ .

- وكما فى قوله : « فلن أعصى لك أمرًا ، ولن أرد عليك قولاً » . مستمد

من قوله تعالى : ﴿ قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً ﴾ .

- وكما فى قوله : « فأنا أراك الآن رأى العين ، وأنا أعرفك الآن حق المعرفة » . مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ يرونهم مثليهم رأى العين ﴾ .

ولو ذهبنا نستقصى رافد القرآن فى جُمل طه حسين لطال بنا الأمر ولكن المحقق أن النبع الأول الذى استقى منه طه حسين بناءه لجمله كان هو القرآن الكريم ؛ وهناك علم من أعلام العربية تأثر طه حسين بأسلوبه وهو الجاحظ ؛ وكذلك تأثر بأبى حيان التوحيدى ، والغريب أنه رغم اتفاقه مع أبى العلاء فى كثير من الأمور ورغم أنه كتب عن أبى العلاء كثيراً فإنه لم يأخذ أسلوبه وإنما أخذ جانبًا من فكره ونظرته للأمور والحياة .

٢ - تنوعت الأنماط الشكلية للجمل المتوازية عند طه حسين ؛ ما بين أنماط مألوفة وضعها النحاة مراعين رتبة الفعل والفاعل والمفعول به فى الجملة ؛ وأنماط أخرى خرج فيها عن قواعد النحاة وترتيبهم لبناء الجملة ؛ فجاءت الجمل فى نمطين : نمط مألوف يراعى الرتبة ؛ ونمط غير مألوف لا يراعى الرتبة . وكان أكثر الأنماط التى استعملها طه حسين هو ذلك النمط المألوف لدى النحاة المكون من : فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة .

٣ - كان للإطناب دوره عند طه حسين فى تحقيق التوازى بين الجمل ؛ بصوره الثلاث : التكرار ، والترادف ؛ والتفصيل بعد الإجمال ؛ وإن كان الإطناب بالترادف هو أكثرهم عنده ، يليه الإطناب بالتكرار ، ثم يأتى فى المؤخرة الإطناب عن طريق التفصيل بعد الإجمال .

٤ - أدى الجناس الناقص دوراً هامًا فى تحقيق التوازى بين الجمل ؛ وفى تحقيق إيقاع موسيقى للجمل أكثر علواً ؛ فأضاف للجمل المتوازية موسيقى

داخلية تضاف إلى الموسيقى الخارجية المتمثلة فى هذا التوازى .

٥ - لم يكن التضاد الدلالى بين الكلمات عند طه حسين يستدعيه المعنى ؛ وإنما كان يقحمه فى بعض الأحيان لا لشىء إلا لتحقيق التوازى الموسيقى من ناحية ؛ أو لأنه كان يملى أو يلقى على جمهور ؛ فكان التضاد بين الكلمات وسيلة يتخذها لاستحضار الفكرة ونطق الجمل التى تتلو الجمل وعدم التوقف عن الكلام من ناحية أخرى ؛ فهو قد يلجأ إلى التضاد كوسيلة يشغل بها المتلقى لحين استقبال الفكرة التالية ؛ فنجده يقول مثلاً:

- ولم يدر أنائم هو أم يقظان
أحالم هو أم عالم
أعاقل هو أم مجنون

مثل هذا التضاد المتكرر ليس له إلا هدفان : تحقيق التوازى بين الجمل ، وإعطاء العقل فرصة لاستحضار الفكرة وترتيب الكلام .

٦ - هناك علاقة قوية بين الأداء اللغوى المنطوق والجمل المتوازية عند طه حسين ؛ فالأداء اللغوى المنطوق يميل إلى أن يكون إيقاعيًا بشكل ملحوظ، لأن الإيقاع من الناحية الفسيولوجية يساعد على التذكر ؛ ولا تكون الكلمات إلا أصواتًا ؛ ولايؤدى ذلك إلى التحكم فى أنماط التعبير فقط ، بل إلى التحكم فى العمليات الفكرية أيضًا ، ولكى يحل طه حسين مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظيا ، واستعادته على نحو فعّال قام بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر ، صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهى ، ومن هنا جاءت الجمل متوازية لتكون قابلة للحفظ والتذكر السهل .

ويحكى كل من تتلمذ على يد طه حسين أنه كانت له طريقة فى الكلام اعتادها طلابه ، فإن ندَّ عنهم تقييد لفظ كلامه فى موضع لم يعجزهم

استحضار الوجه الذى كان من الممكن أن يكون عليه نص هذا الكلام ، وذلك لكثرة ما اعتادوا سماعه منه ، ونتيجة لما ألفوه من معجمه وتراكيبه ؛ ومن أشهر هؤلاء التلاميذ العالم الجليل شوقى ضيف الذى ما برح يردد بين الفينة والفينة فى كتبه جملة طه حسين العذبة : « ومهما يكن من شيء » .

٧ - كان لأدوات الربط المتمثلة فى حروف الجر ، وحروف العطف دور هام فى تحقيق التوازى بين الجمل ؛ فحرف الجر والاسم الداخل عليه يكونان شبه جملة { جار ومجرور } ؛ من خلال هذه الوحدة اللغوية حقق طه حسين التوازى المنشود ؛ فقد كان يقدم شبه الجملة على الفعل والفاعل معًا ؛ وكان يقدمه على الفاعل فقط ، وكان يقدمه على المفعول به فقط ، وكان يقدمه على المبتدأ ، وكان يقدمه على الخبر ؛ وهذا يعنى أنه كان يحرك شبه الجملة بحرية تامة ويضعه فى المكان الذى يحقق له فيه التوازى بين الجمل .

كما أنه حقق بحروف العطف التوازى أيضًا ؛ فهو يأتى بالجملة فى شكلها البنيوى الذى قرره النحاة ثم يعطف عليها جملة أخرى مساوية لها فى المقدار وموازية لها فى البناء النحوى ؛ فهو يقول مثلاً : يجد سعادته فى هذا الضيق.

هو هنا يريد أن يحدث توازيًا فلا يسعفه إلا حرف العطف الذى يعطف له جملة على هذه الجملة تطابقها فى البناء النحوى ؛ وهى :

ولذته فى هذا الألم ؛ فتصير الجملتان :

- يجد سعادته فى هذا الضيق
  ولذته فى هذا الألم

وبذلك تحقق لها التوازى الذى ينشده عن طريق حرف العطف ، والمعطوف.



مصادر ومراجع الفصل الثانى

١ - أبو حيان التوحيدى : الإشارات الإلهية ، تحقيق د. وداد القاضى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٢ - أبو هلال العسكرى : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابى الحلبى ، ١٩٥٢م.

٣ - أحمد مصطفى المراغى : علوم البلاغة : البيان والمعانى والبديع ، القاهرة، د.ت .

٤ - الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجى، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

- كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، د.ت .

٥ - سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

٦ - طه حسين :

- من حديث الشعر والنثر ، دار المعارف ، القاهرة .
- على هامش السيرة ، ٣ أجزاء ، دار المعارف .
- أحلام شهر زاد ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ . العدد الأول.

٧ - عز الدين إسماعيل : أنا المتكلم طه حسين ، مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العددان ، الأول والثانى ، أكتوبر ١٩٩٠ م .

٨ - محمود السعران : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، دار الفكر العربى، ١٩٩٢ م .



المحتويـــــات

الموضـــــوع | **الصفحة**



٥ ش مكة متفرع من ش الكيلاني شلهوب
دار السلام
ت، ٧١٦٥٤٠٤ـ موبايل، ٠١٢٣١٤٠٤٨٢


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com